

العولمة فرصة أم رهان

بقلم : الأستاذ حاتم بن عثمان

اليمن المتطرف التي أثبتت استعدادها للتخالف مع سائر قوى اليمن التقليدي ورفضت التقارب الصريح مع الأحزاب الاشتراكية سواء كانت في الحكم أو في المعارضة .

أما الأحزاب الشيوعية فقد أصابها البهتة أمام هول ماحدث للكنيسة الأم وبقيت تسعى للتمسك صفوف منخرطيهما والبحث عن تصور لمرور وجودها .

ويبقى المثقفون والجامعيون وخبراء السياسة في حالة انتظار لما سوف يفرزه الواقع الجديد من قوى وبدائل، وأحجم أغلبهم عن اتخاذ موقف يحاسبون على خطئهم لاحقا، أو خوفا من ألا يتبعهم فيه أحدا ، أو حرصا على تفادي مجانية الحقيقة التي لم يعد أحد يستطيع مقاربة ولو جزء منها .

وظلت الشعوب في حيرة من أمرها تتساءل عما إليه الكون يسير، وعن مصيرها في ظل غياب المرجعية، وغموض الآتي، بالارتداد إلى الوراء وسبر أغوار الماضي بحثا عن مقومات

لقد مرّ الحديث عن العولمة بمراحل يمكننا اليوم أن نتوقف عندها لإبراز بعض من جوانب الرؤى الخافتة بشأنها وبداية انتشارها وردود الفعل في شأنها .

1. مرحلة البهتة والانتظار :

بعد انهيار الكتلة الشرقية وتداعي صرح الشيوعية كاهم إيديولوجيا فاعلة في تقسيم العالم وتوازن قواه، بدأ منظرو الليبرالية الجديدة يبحثون عن بديل أو أحد يحتل المواقع المهجورة ويبسط على العالم رؤية جديدة في الاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية .

وتسارع نسق انزياح الأحزاب الاشتراكية في اتجاه الانسحاق وراء النمط الليبرالي، ولم تر هذه الأحزاب في أغلبها أي تناقض جوهري بينها وبين الليبرالية في تسيير الدولة وشؤون الحياة العامة بل رأت في النظام الليبرالي أداة تحسين لها أمام ما تقى من قوى اليسار المناهض للاشتراكيين وحلفائهم التقليديين من الديمقراطيين الإشتراكيين وغيرهم، وأمام ما تشهده دول أوروبا الغربية من تصاعد لقوى

التحرك المنظم لدعاة العولمة وقوى العولمية :

في هذا السياق، وعند مجيء اللحظة الحاسمة المناسبة المنتظرة، شرع دعاة العولمة في نشر مبادئها وامتداح فضائلها والحث على ضرورة الانصهار فيها واستحالة التصدي لها أو البقاء على هامش ركبتها.

واقترن تبشيرهم لها باطلاق العنان لفيالق فرسان حقوق الإنسان للترغيب وتوأمه التهريب، فتعددت نوايا تعميم الخير على الإنسانية كالفقائيع لضرب كل مراكز التمرد والعصيان بأيادي محيي السلم والأمن والتعاون في العالم وفي مقدمتها منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، والجمعيات غير الحكومية، وإسرائيل، والمحاكم الدولية، والعقوبات الاقتصادية، والحضر، وانهيار اقتصاديات الدول، وتهديد الأنظمة، وإطلاق سرايا الهذيان والتشكيك في الحقائق والمسلّمات، وتحريك الأقليات، والتذكير بأسباب الفتنة والانشقاق وخفايا الصراعات بين الأجوار والأشقاء ... وما إلى ذلك مما تشهد مختلف دول العالم اليوم، من براكين في حالة غليان لنشر نفوذ النظام العالمي الجديد وغطه الأوحاد.

ويتواز مع ما شهدته مرحلة التسعينات من انتظار وصمت وحيرة وخوف، أشرق على العالم بأنوارهم خبراء الاقتصاد، وبدأ يسود الحديث

الهوية « القديمة الجديدة » المهددة بالجهول .

وشهدت بداية التسعينات أكبر موجات الانحراف الفكري والإيديولوجي التي عرفها التاريخ الحديث، فبعدها كان التطرف الديني استثناء محصورا في بؤر مناطق الصراع التقليدي بين المذاهب الدينية والعرقية واللغوية، أصبح ظاهرة تهدد كل الشعوب والدول .

وبعدما كانت النازية والفاشية محصورة فيما أفرزه التاريخ من أنظمة دكتاتورية متطرفة محدودة في الزمان والمكان، أصبحت الظاهرة تستهوي الملايين في كل دول أوروبا وأمريكا في الاتجاهين : تنامي الحركات الفاشية وجرائم القتل الشنيع التي ترتكبها في حق الأقليات الأجنبية المقيمة في بلادها ومقاومة هذه الحركات للتيارات السياسية والاجتماعية، المعادية لها، مع استعراض مفوض لقواها وتهديداتها، المؤثرة في الحياة السياسية والواقع الاجتماعي .

وفي نفس الوقت تصاعد تحرك قوى التعبئة الدينية المستقرة، المنتشرة عبر الفرق والطوائف في أمريكا وأوروبا على وجه الخصوص، وأصبحت تؤرق الأسر والمجتمع، وتؤطر الكهول والشباب والأطفال وتعصف بكيان عائلات بأكملها، وحلّ الخوف محلّ الحيرة في العالم .

الحمار الوحشي، فيستجيب لمطالبنا الشعبية وتستبدل كل الآلات القديمة بوسائل حديثة يأتي مصطنعها الجديد بنفسه ليطلعنا عليها احتراماً لإرادتنا ويهدي كلاً منا عينة نضعها في بيوتنا، نتحدث مع الغيب من خلالها، ويسلم علينا من خلالها صوت رخم، من حين لآخر يسألنا إن كان كل شيء على مايرام .

وفي الغد ننتقل من قريتنا الكونية إلى حقولنا سعداء بشرف الانتماء إلى حضارة الاستعباد الحر، والتبعية الواعية، واستسلام العقل، وزوال الشك، وانتصار الرق، وانكسار الحق .

الانبيهار والتهليل:

في نفس الفترة التي برزت فيها فكرة العولمة كنظام واستراتيجية سياسية لها أهداف وغايات ووسائل، بدأت تعلو أصوات بعض الساسة والمحللين السياسيين والمثقفين والأحزاب للتنويه بالتوجه العالمي الجديد، وبدأت بالإعلان عن نهاية عصر التلبّد الذهني في زمن الإيديولوجيات، كمدخل رئيسي لعصر العولمة كإيديولوجيا جديدة رغم افتقارها إلى المرجعية ومقومات المذهب الفكري والمسلك العقائدي القائم على تصور واضح ورؤى متكاملة في كل جوانب الحياة .

ولوعي دعاة العولمة بهذا الفراغ المفرغ لم يجدوا لأنفسهم وللعولمة من ملاذ إلا المجال

عن التجارة الحرة ، وتنقل الأموال ، وانتفاء الحدود، ومزايا الليبرالية الجديدة، وحلول عصر الرفاه والرخاء الفكري والمادي للجميع، شرط إعلاء راية الديمقراطية على معبد الليبرالية وصلاة الأنبياء الجدد على روح حقوق الإنسان الطاهر من ذنوب الإيديولوجيا وترسبات حركات التحرر ونزعات الاستقلال ...

اليوم عالمنا قرية، هكذا قيل لنا ، وسكان العالم، إن صدقت مقولتهم، ليسوا أكثر من مزارعين في حقول العمولين، وعلى قارعة حدود الأرض ندعو لآلهة البر بأوضاع الدول الضعيفة بالخير وطول العمر، ونعود إلى قريتنا آمين، غداً هامبورغر، ومشرونا كوكاكولا، نستمتع بإيقاع الهارد روك للهضم، ونستوحي ليلاً من أوهام البرابول حلماً بقودنا حتماً إلى الحديث عن مختلف الأوضاع في مجال حقوق الإنسان، ومصير القطط والإوز والسرطان، فنحدث لها ، ولحقّ التزوّج بالجنّ وواجب مطاردة الملل ورتابة الاستقرار، جمعيات لاثمت إلى الحكومات بصلة، ولا تتغذى إلا بأموال المخابرات والمؤسسات المالية العابرة للقارات .

ثم ننام سعداء ، نسبح بحمد الليبرالية ونعم الديمقراطية، ونطوّر حقوقنا ببعث نواد لمقاومة الرتابة المتفشية من جراء الرخاء، ثم نشكل جمعيات للوقوف في وجه التكنولوجيا الحديثة وسلباتها على الاستقرار النفسي لدى

يسردون ما أبهرتهم به العوالة من محاسن، وأصبح الوعد بالجئة المزعومة وسيلة إقناعهم، وأضحت ضرورة الانخراط الجماعي لسائر دول العالم وشعوبها أداة تأثيرهم . وصبَّ جوهر حجة العولمين لابرار إيجابية الانصهار في النظام العالمي الجديد فيما يلي :

1 . حتمية نجاح الليبرالية بعد فشل مختلف التجارب التي سادت في العالم منذ بداية القرن
2 . ثبات نجاعة اقتصاد السوق وفق النمط الأمريكي الذي أصبح مثال الرخاء والقوة الاقتصادية .

3 . النجاح الباهر الذي حققته الدول التي سلكت المسلك الأنقلوسكسوني في الاقتصاد والمال والتجارة، والدليل على ذلك بروز ما يسمى بالثورة ضمن دول جنوب شرقي آسيا .
4 . اعتماد النظام الليبرالي على التكنولوجيا والعلوم وحتمية ارتفاع دول العالم بفوائدها عند نقلها لهم إن هي اعتنقت هذا المذهب وانصهرت في المنظومة الاقتصادية العالمية .

5 . انتقال المال والأعمال إلى دول العالم الثالث وتوفير شروط جديدة مما يمكنها من استيعاب العاطلين عن العمل وتطوير الامكانيات المادية والمعنوية لسائر أفراد شعوبها .

6 . تقود الليبرالية والتكنولوجيا والعلوم والرفاه الاجتماعي إلى انتشار الديمقراطية وتسان بموجبها حقوق الإنسان، وحرية

الاقتصادي . فشرعوا في التنديد بالسياسة وفي تهيش السياسي لفائدة الاقتصادي وشجبوا الاهتمام المفرط للسانة والأحزاب والمثقفين بها . فبدأت شينا فشينا تتحول وجهة اهتمام عديد القيادات السياسية في العالم نحو « الاقتصادي المطلق » باعتباره المحرك الوحيد للتنمية والرفاه والازدهار .

وبدأ إعرار الشعوب عن السياسة يؤتي أكله بالنسبة إلى العولمين، وبدأت الأحزاب تواجه مشاكل في التأطير والمحافظة على منخراطها وتوفير الغذاء الفكري والعقائدي الضروري لها، وبدأت مختلف مراحل الانتخابات تشهد ارتفاعا في نسب الاستنكاف والامتناع عن التصويت .

وحلَّ عصر التكنولوجيا والأنترنت وضاعت السياسة بين خيوط الشبكات الرقمية، واستبدلت عمدا بشعار التبادل الحر، وحقوق الإنسان، وواجب الانصهار في معزوفة الهاجس الكوني كأحسن غطاء لأبشع انتهاكات حقوق الإنسان في مهد الحرية المزعوم وفي سائر أنحاء العالم، باسم الدفاع عن قيم الرفاه والسعادة الفردية والأثنية وانفجار الأسرة، ونبيذ السائد في القيم، وتأليه الذات على حساب كلِّ الضوابط والأعراف، وتعمق الشعور بأن لا يهرب من هذا المصير المحتوم .

وتفق عديد الساسة والمثقفين في العالم

ستقف صفا واحدا إلى جانب كل ضعيف وتساند كل محتاج للدعم والمؤازرة، وساد الاعتقاد خلال ما يقارب العشريّة بأنّ العولمة فرصة يتيحها التاريخ للدول والشعوب التي شاءت ظروفها الداخلية الموضوعية أو ظروف الجغرافيا وخطوب الأزمنة المتلاحقة بأنّ تظلّ ترزح تحت عبء المديونيّة وقلة الموارد وتقلّب المناخ الطبيعي أو الاقتصادي والسياسي العالمي .

بذور الشك وصحوة العصيان :

لقد كانت أصوات المنبّهين إلى مساوي العولمة نادرة في العالم خلال النصف الثاني من العقد المنقضي، أمّا في نصفه الأوّل فقد كانت شبه منعدمة .

وبدأت أصوات التنديد بسلبيات العولمة ترتفع لشجب انعكاساتها الخطيرة على الثقافة والانسانيات والرفع التقليدي من شأنهما على المستويين الرسمي والشعبي، وبحكم تجذّر القيم الثقافية في الضمير الجماعي لديها وكذلك بفضل مكانة المثقفين ودورهم في الحياة العامّة وفي نحت معالم التصورات الكبرى لمصير المجتمع، بحكم كل ذلك، كانت فرنسا مهدا لصحوة العصيان والتمرد على النمط الأمريكي في العيش والسلوك، لاعتبارات تاريخيّة ونفسية شكّلت على مدى القرن الماضي أرضية لتنامي نزعة إعلاء شأن الذات وإعلان التصدي

واستقلاليته الفردية، فيتفرّع للبحث عن التفوّق والتميّز ومزيد الرخاء والرفاه .

7- لما تستقرّ المنافسة قاعدة في الاقتصاد وغيره من المجالات، يتحصّن مردود الأفراد والمجموعات وتعود جودة المنتج بالنفع على الجميع، كمّا وكيفا وكلفة .

8- العولمة تكريس للتقارب بين الشعوب عبر انتفاء الحدود والحواجز وتجسيم التعاون بينها من أجل سعادة كل البشر حيثما كانوا، وارتباط مصير كل مكونات المجتمع الدولي ببعضها البعض .

9- العولمة أداة لفتح كلّ أسواق العالم أمام كل منتوجات الدول وبضائعها بعد أن تكون هذه الدول قد استفادت من نقل التكنولوجيا وطرق التسيير الحديثة واعتماد قاعدة التجارة والجودة والمنافسة .

إنّ حججهم هذه تستهوي إن قبلت مجردة لأنّها تستجيب لرغبة كلّ الشعوب في التنمية والتطور والتفاعل مع محيطها الإقليمي والعالمي على أساس الندبة والإفادة المشتركة . لذلك قيلت بالانتهار لما تحمله في ظاهرها من نوايا طيّبة وماتنبيء به من سرعة في الخروج من مأزق وعوارض الأزمات التي تواجهها الدول والشعوب في عزلة وعجز عن تجاوزها أحيانا .

وبدأ الشعور ينمو بأنّ المجموعة الدولية

الفاصل بين العولة والهيمنة، وعمّا تبقى لسائر دول العالم بعد اقتطاع الشركات المتعددة الجنسيات لحصّتها من أسواق العالم، وعن حظوظ الضعفاء وقسطهم من ثمار تهاطل الأموال وفتح الأسواق ولهفة الاستهلاك؟

وبدأت عديد الأقلام تخرج من صمتها للتنبيه إلى خطورة أوضاع العالم اليوم وهشاشة أكثر من ثلثي الدول والشعوب، وشهد العالم بداية التحرك الجماعي المنظم لمقاومة آثار العولة رغم أنّها ليست بيّنة بعد للعيان بكامل الوضوح في الرؤية والأهداف، ورغم أنّه لم يحن بعد توقيت تقييم نتائجها لأنها لازالت في مراحل وضع الآليات الضرورية لها، وتصفية بؤر التحدي لتبّارها واختلاق الأزمات المناسبة لكسر الحواجز أمام انتشارها ومواصلة مساعي الترغيب ببعض الاستثمارات والمساعدات الطرفية المتناثرة.

إلا أنّ قراءة متأنية لأوضاع العالم اليوم، ودراسة موضوعية لمختلف المؤشرات المتوقّرة، وتحليلا رصينا لمنطق تسلسل الأحداث يمكننا دون اللجوء إلى التنبؤات الكارثية الفاجعة ودون إسقاطات إيديولوجية تنغاضى عن حقيقة الواقع وتحركه وفق أهوائها وحاجياتها، يمكننا أن نستنتج مايلي:

في المجال السياسي :

والمواجهة أمام مساعي الهيمنة الأنقلاوسكونية فكرا وممارسة في السياسة والاقتصاد والنفوذ العسكري، وبسط سلطان غط معين في العيش والتفكير والسلوك والاستهلاك، وإن نجح هذا النمط اليوم في كسر محاولات التصدي هذه وبدأ يخترق كلّ المجتمعات الأوروبية وكلّ شرائحها .

ولما اندلعت الأزمة التي عاشتها دول جنوب شرقي آسيا ارتفعت فيها فجأة نسب الفقر بدرجة مهولة، وأصبحت ترزح تحت عبء الديون، وتوقّفت فيها كلّ آليات التنمية وأدواتها، وأشرفت على الانهيار الاقتصادي الكلي، وانفجرت أوضاعها السياسية والاجتماعية، وطالت الأزمة كلّاً من روسيا وأمريكا اللاتينية، وقتها بدأت بذور الشك تنتشر في كلّ أنحاء العالم، وتجاوز الخوف من انعكاسات العولة الخوف الذي كان قائما من جراً المجهول السائد .

وأصبح الساسة والخبراء في الغرب نفسه يدقّون نواقيس الخطر وينادون بوضع حدّ أدنى من الضوابط والمراقبة للأوضاع المالية في العالم .

وأصبح الكلّ يتساءل عما يضمن مصالحه الأنية والمستقبلية داخل حدود وطنه وخارجها وعن أدوات التعديل الممكنة في حالة أنخرام التوازن عند تضارب المصالح، وعن الحدّ

دون غيرها للوقوف إلى جانبها وتأمين استمرار نفوذها .

3 - خلق اقتصاد أي دولة في العالم إن هي سعت لتعطيل مصالح القوى الاقتصادية المهيمنة .

4 - الانهيار الممكن للسوق المالية العالمية في أي لحظة تشاء . مصالح وإرادة ماسكي زمام التسيير المالي لشؤون العالم دون الإضرار بذرة من مصالحهم الحيوية، بل لمزيد تأمين مصالح أكبر عبر إعادة توزيع الأوراق وصياغة الرؤى الجديدة المغيرة لتسيير شؤون السوق العالمية واقتصاديات الدول وفق مشيئتهم وحاجياتهم المتغيرة .

في المجال الثقافي :

1 - الانطلاق من المركزية الثقافية الغربية والأنقلاوسكسونية على وجه التحديد وانتشار ماتفرزه الخيارات الاقتصادية النيوليبرالية من أقطاب في الاستهلاك والسلوك المرتبط بها .

2 - انتفاء الخصوصيات ومقاومة الحضارات والشعوب المتعلقة بقيمها وتقاليدها وإرثها التاريخي ورموزها الثقافية وأساطيرها، فهي بالنسبة إلى دعاة العولمة حضارات تشكل خطرا على استقرار العالم ومصير الإنسانية، كالحضارة العربية والحضارة الكنفوشوسية، وقد عبّر عن ذلك بكل وضوح ساموال في كتابه : « صدام الحضارات » .

. في العولمة إعلان عن نهاية الدولة - اللأمة والدولة - الوطن وإحلال عصر التسيير العالمي للكون

. تكريس هيمنة القطب الواحد على سائر مكونات مايسمى بالمجموعة الدولية .

. تعطل كل ما وضعته البشرية في العصر الحديث من آليات للتعامل المنظم في العلاقات الدولية وفي مقدمتها منظمة الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها .

. التهديد المباشر لأركان السلطة الوطنية وإمكانية زعزعتها متى عن ذلك للقوى المسيطرة للعالم، وكلما رأت في مواقف أي سلطة وطنية مساً بمصالحها الحيوية في المجال الاقتصادي أو السياسي أو العسكري .

في المجال الاقتصادي :

1 . انتفاع رؤوس الأموال الضخمة والشركات المتعددة الجنسيات وحدها من الوضع العالمي الجديد بحكم هيمنتها المطلقة على الأسواق المالية والتجارية في العالم ، ولا يبقى لغيرهم مهما بدا صلبا وقويا إلا الفئات .

2 . تصبح قاعدة المنافسة والجودة مجرد شعار في ظل شتى أساليب الضغط أو الإغراء المتوفرة لدى الشركات العابرة للمقارنات والمؤسسات المالية الضخمة وما تتمتع به من دعم سياسي وعسكري إن لزم الأمر لضمان مصالحها ومصالح الأنظمة التي أفرزتها هي

وتطغى السطحيّة والزيف وأحلام البطولات
الوهميّة وأوهام الحرّة .

على ضوء كلّ ذلك نتبيّن بجلاء أنّ العالم
اليوم في حاجة إلى هبة تكرّس مبدأ حرّة
الاختيار واحترام حق الاختلاف في كلّ شيء ،
في التفكير والرؤية والأهداف، في شكل
الإنسان وطريقة عيشه وتحذير قيمه والتأسيس
لقيم تلام واقعهم وضرورة تطوّر اعتمادا على
شروطه الموضوعيّة في التعامل الرصين المعقلن
الواعي مع حقيقة أوضاعه، انطلاقا من
إمكانياته وطموحاته ، لنحت ملامح مستقبله
بارادة منه، بعيدا عن كلّ أشكال الهيمنة
والإسقاط والعنف الفكري والإيديولوجي ورافده
الطبيعي المتمثّل في القوّة الماليّة والعسكريّة .

إنّ البشريّة اليوم في حاجة إلى صياغة رؤية
جديدة لمستقبل علاقاتها التي يجب ألاّ تقوم إلّا
على أساس احترام الدول واستقلال قراراتها
الوطني وخصوصياتها الثقافيّة والحضاريّة .

وإنّ على المثقّفين أن يعيدوا الاعتبار إلى الأدب
والشعر والتاريخ والإنسانيات عامّة لأنّ الإنسان
بدونهما لا يكون إنسانا وبدونها لا يمكن للعقل أن
يستقرّ سيّدا ، إن كَيْفَتِهِ المادّة ، وروّضته العلوم
الصحيحة ، ودجنّته التكنولوجية الحديثة، وخدّته
أوهام القوّة المؤسّسة على نخوة بخاريّة لعقل آلي
يربطه قرص الكسروني بنك مركزي للمعطيات
المعلّبة وإحداث المعارف المجفّفة القابلة للاستهلاك
في الشارع الرئيسي للقرية الكونية .

3 . انتشار النزعة الفرديّة وقيم الريح السريع
على حساب القيم الأسرية وتماسك العائلة
ومبدأ القناعة والتضامن والتأزّر في المجتمع .

4 . اختزال النجاح في الحياة في الارتشاء في
السلم الاجتماعي، إذ تتغلّب قيم النفعيّة
والمصلحة الشخصيّة على قيم العلم والمعرفة
والثقافة، فتتغلب بذلك الأخلاق وتعوّضها
المنافع والمعارف الوظيفيّة .

5 . إفراغ اللّغة من معانيها وإكسابها معاني
جديدة تغلّب المادّة على الروح ويغيّب العقل
والمرجعيّة والثوابت الحضاريّة . وتنتشر وحدة
المفاهيم ووحدايّة اللّغة الأقصى، ويصبح
المظهر الخارجي للأجساد والمادّة والأشياء

جوهرها لها ومقياسا للحكم عليها فنختصر
النزوة ونموت الفكرة، ويصبح في عصر السرعة
كل شيء قابلا للاستهلاك بسرعة، في كلّ
لحظة وفي كلّ مكان، فتختلط هكذا القيم
والمفاهيم وتعوّضها شيئا فشيئا قيم جديدة
ويتغيّر الوعي بعامل الزمان والمكان وتهتزّ
على مرّ الأيّام أركان كل القناعات التي كانت
ساندة لدى الشعوب، وتسهّل عمليّة المسخ
والاستبدال وإعادة التركيب على أسس جديدة
وفق ما ترسّخ في عقول الأجيال الناشئة من
مفاهيم وقيم جديدة تتكرّس بالممارسة في
الواقع المعيش للمجتمع، ويستحيل بعدها
العود إلى قيم تكون قد زالت واندثرت،

«قصيدة النثر»

العصف بالمرجعيّات

(2)

بقلم : محجوب الطرابلسي

وكثيرا ما نرى بين من يصدرون عن هذين
الموقنين أشخاصا يؤلفون كتباً أو يقومون
أبحاث حول نصوص يعدونها شعرا تستلزم
بادئ بدء سؤالا أوليا : هل هذه النصوص هي
حقاً شعر ؟ وفي إيضاح «الشعرية» يشير
أدونيس إلى أن هناك من الناحية «الكمية»
طريقتين في التعبير الأدبي : الوزن والنثر ومن
الناحية النوعية أربع طرق :

أ - التعبير نثرياً بالنثر

ب - التعبير نثرياً بالوزن

ج - التعبير شعرياً بالنثر

د - التعبير شعرياً بالوزن

ويخلص أدونيس إلى القول إن الوزن ليس
مقياساً واقياً أو حاسماً للتمييز بين النثر
والشعر ، وإنّ هذا المقياس كامن ، بالأحرى ،
في طريقة التعبير ، أو كيفية استخدام اللغة ،
أي في الشعرية .

8 - القاموس اللغوي الذي تشتغل

عليه هذه التجربة (1) «أنية الزهر»

7- موقف المستقبل من الشعر ومن

قصيدة النثر تحديدا :

يرى أدونيس في ماهية الشعرية أن هناك
نقدا يرفض سلفا البحث في إمكان النظر إلى
قصيدة النثر ، شعرياً أو يرفض أن يرى
الشعرية خارج الوزن ، ويعني ذلك أنه متأصل
في قديم ما وأنه بسبب من ذلك ، عاجز عن
النظر إلى الجديد إلا بذائقة تقليدية ، وهو إذن
لا يفهم الجدة الشعرية ، بل إنه في أحيان
كثيرة ، يطمسها ويشوهها . وهناك ، بالمقابل
، نقد ونوع من الممارسة الكتابية لا يجهلان
اللغة العربية في خصوصيتها التعبيرية .
الجمالية وحسب ، بل إنهما يجهلان أيضا
مخزونها الإبداعي ، فضلا عن أنهما يرفضان
شعر الوزن ، وهما لذلك عاجزان عن فهم الجدة
ومعناها في اللغة الشعرية العربية . خصوصا
أنّ حداثة الكتابة في لغة ما ، لا يصح فهمها
وتقويمها إلا في سياق القديم الكتابي ، في
هذه اللغة انطلاقاً منه .

أحمد عبد الفتاح بن حمودة نموذجاً
*المعجم الشعري والانحراف :

المعجم الشعري في هذا النصّ هو الذي يحدّد تمايزه وشعريته ، وبهذا المعجم يرسم فضاء القصيدة وأبعادها الدلالية ، وبالتالي طاقاتها الإيحائية وسنحاول فيما يلي أن نسلط الضوء على هذا المعجم ، إنّه يتشكل تشكلاً ثنائياً ، فنراه يحوي جدلية في كلّ حركة منه .

لعلّ الناظر في هذا الشكل الجسدي من الكتابة ، يصطدم بادئ بدء ، بصعوبة تناول هذا الشكل من الكتابة بالنقد ، ذلك أنّ نصوصه تتشكل وفق طرائق لا يطالها الكلام العادي ، ويقف أمامها وقفة العاجز القاصر ، إذ تبدى اللغة بين يديه طينا يشكّل منه أنيته وأزهاره ، لا مرجع لها في بنيتها وفي منطقها وفي دلالاتها ، هذا إذا جازلنا أن نتحدّث عن الدلالات أصلاً في هذه النصوص ، وهذه التجربة ، لأنّ ذلك حسب رأيي سابق لأوانه ولعلّ المتعمّن في هذه النصوص يلاحظ أنّها لا تخرج عن حيز الواقع ، بل الطبيعية ، بل أكثر من ذلك لا تخرج عن نفس معجم المدرسة الرومنسية ، فالشاعر بلغته وفي لغته بشكل عالماً ثنائياً : عالم الأعالي (الفوق) وعالم الأسافل (التحت) بينهما عالم فضائي ويتكوّن الأوّل أي عالم الأعالي بدوره من ثنائية المفرد

والجمع :

سما / سماوات - نجم / نجموم - قمر / أقمار ...

وعالم الأسافل : وهو بدوره متكوّن من ثنائية المفرد والجمع :

ماء / مياه - أرض / أراضي - شجر / شجرات - نهر / أنهار - عشب / أعشاب - صدف / أصداف - جدار / جدران - وردة / وردات

أمّا العالم الذي يفصل بينهما وهو العالم الفضائي : فهو نوراني في أغلب الأحيان متكوّن بدوره من ثنائيات المفرد والجمع :

حريق / حرائق - مطر / أمطار - ريح / رياح - برق / برق - هواء - أهواء

تشويه (هذا العالم) بعض الظلمة أحياناً وفق هذه الثنائيات التي ذكرنا :

ظلّ / ظلال - ليل / ليالي ... هذا بالإضافة إلى التركيز على ألوان معينة شقافة ناصعة بارقة :

الحضرة + الزوّقة + الندى + (الماء - المياه)

هكذا يبدو إذن من خلال هذا العرض أنّ المعجم اللغوي الذي اشتغل عليه عبد الفتاح بن حمودة معجم طبيعي حسّي رومانسي غالباً .

لكن هي رومانسية جديدة تؤسّس لعلاقات جديدة هذه المرة ، بين الكائنات اللغوية ، علاقات لا يفهم منطقها وسرّها إلا صاحبها الشاعر ، ذلك أنّه مهوس بالتشكيل اللغوي

اللغة ولاشيء غير الكلمات واشتعال الضحكات ، وأنغام نايه السحري ، يأتي هذه المرة بلا خوف يستقبل وردته القابعة في حتم الأرض ، ويعانق حبيبته عروس المياه والنجوم . من «الضحكات العمياء» وشتاء «الأقمار الزرقاء» «فأنيسة الزهر» إلى مياها الوردية وانزياحات قديمة وصولا إلى هشاشة يؤسس عبد الفتاح عالمه الودّي الماضي . وينحت أنيسة زهره المشرقة بالرؤى والأحلام في ظلام الليالي يقدّ من اللغة بستانا من أشجار اللوز وتفتح الجبال ويرقص على نغمات موسيقى خرير مياها الجدول وسريان الماء بين الأعشاب والقمح والرمال والأصداف ، وعزف كمنجات العصفير على المياه ، يشعل البروق ، ويستحثّ الرياح ويستجلب الأمطار لزهر أنيسه كي تنبت الربيع وإن خريفًا أو شتاء .

9. كيف تحوكت اللغة في «قصيدة النثر» من أداء للمعرفة إلى موضوع لها ؟

1. مدخل :

تمثل مسألة اللغة الحيّز الأول في «قصيدة النثر» كنموذج للنص الحديث لأنها في أساس عملية الإيصال ، ولما كانت مغامرة المغامرة في الحداثة تفترض شكلا تعبيريا جديدا ووسيلة تعبيرية جديدة . كان لابد من خلق لغة جديدة تتشكل من خلالها «قصيدة النثر» ، وليس

للنص الشعري قد لا يكون واعيا بمعنى ما يريد قوله لأن ذلك ليس مشكله الحقيقي ، وإنما الذي يهّمه حقيقة هو إعادة صياغة جديدة للعلاقة بين الكائنات اللغوية ، ثم يحاول بعد ذلك إذا أراد فهم أوحى شرح قصيدته :

ألم يقل درويش :

أحاول شرح

القصيدة كي أفهم الآن ...

كنت أحلمها .. كنت أحلمها

والثقتنا أخيرا

أحاول شرح القصيدة كي أفهم الآن ماذا حدث

أو قول عبد الفتاح بن حمودة :

لاحتاج القراء ، — ولعلّ ذلك مرتبط بساعة

إنشاء النصّ

ثم يستدرك ويقول فيما بعد :

أحتاج عذاب القراء

أحتاج ذهول القراء

وخلاصة القول في المعجم الشعري والانحراف لدى بن حمودة في مجموعته الثانية «أنيسة الزهر» إنه يشكل عالما نورانيا يحوط العالم من الأسفل إلى الأعالي ومن ثلج الشمال إلى صحراء الجنوب عصفورا طائرا يصنع ربيع الزهر أنيسه يحمل في متفاره أوراد اللوز وبين جناحيه المياه والموجات ، يغني للعالم الجديد الذي اكتشفه وأنه في كلّ ذلك

شيئا متوصلا ، بل مستقل عنه وعن الأفكار الأخرى ، أي أنها وحدات بنى تجريدية تشكل منفصلة عن اتصال الزمن وتثبتته تثبيتا ، وبهذا المعنى لا يمكن للكلمة الشعرية أن تكون شيئا جديدا بل تستوحي وتستعيد المدلول من الماضي / الشابت على أنه مطلق ونهائي . ويعني نظام الإشارات في الصياغة الشعرية القديمة مجموعة صور ثابتة ومحددة هي إسقاط لإشارات الوحي / المطلق . واللغة العربية بهذا المعنى هي لغة المطلق لغة الثابت النهائي الذي يمدّ الكون بالأفكار والوحدات التعبيرية والأشكال أيضا «ولن نجد لسنة الله تبديلا»

3. الكتابة الشعرية الحديثة :

قد تحوكت من الصناعة إلى الخلق هذا هو الخط الذي انتهجته الكتابة الشعرية عند العرب حتى مرحلة الحداثة ، وكان مردّ الثقل في طبيعة الكتابة إلى اختلاف جوهري في مفهوم الشعر ذاته ، فبعد أن كان الشعر حالة من حالات التلقن والتعلم وبالتالي فعل استحضار للماضي وتذكّر له من خلال بعض القيم الفنية ، وهذا هو جوهر مفهوم الصناعة ، بات خلقا مستمرا لقيم جديدة . هي بمنزلة ارتباط بالحاضر والآتي ، فالإنسان أكبر من القواعد وهو خالقها باستمرار ، يولدها متى شاء ويغيرها متى يريد ، وصارت الكتابة الشعرية الجديدة حال اتصال بمعنى أنها تفترض دلاليًا

خافيا على أحد الطابع القدسي للغة العربية ، لهذا فإنّ إنجاز لغة شعرية جديدة والعصف بالمرجعيات المتوارثة فيها هنا أمر بالغ الصعوبة لما له من محاذ يرد بنية وسياسية واجتماعية وقومية ، وليس هذا بديهيا في اللغات الأخرى حيث هي أنظمة دلالية أو بنى سيميولوجية تقبل المغايرة ، من غير أن تشكل هذه المغايرة مشكلة إيديولوجية.

2. الكتابة الشعرية القديمة :

لئن كان مفهوم الكتابة عند العرب مرتبطا بالصناعة ، فقد كان الشاعر يتعلم «صنعه» حتى يجيدها ، وعندئذ يبدأ بـ «النظم» ، ويعني النظم نقل الأفكار في قالب جميل وهو بهذا يفترض تصوّرا للشكل مستقلا عن المضمون ، وتشكل الكتابة بهذا المفهوم انقطاعا لا اتصالا ، بمعنى أنها تفترض - دلاليًا - وحدات معجمية قائمة بذاتها محدودة الحجم والعمق المعنوي على الناظم / الشاعر أن يربط بنويًا ليخلق رسالة وفق أسس الصناعة (فصاحة - بلاغة - تشابيه - استعارات - محسنات بديعية) وبذلك فإنّ التصوّر القديم للصياغة الشعرية يقوم على أساس تصوّر لكون منفصل البنى ، ثابتا ، لا يتغيّر ، وبالتالي يناقض مبدأ النسبية ، فكلّ بناء بدا فيها الحقائق مطلقة ثابتة لا تتغيّر وعلى هذه الفكرة في الكون لا تعني

وحدات معجمية متصلة متوسعة العمق ، لأنها تتخذ مناحي دلالية من شأنها أن توسع ذاكرتها المألوفة أو أن تخلق لها ذاكرة جديدة ونظاما جديدا .

وهكذا ينطلق الشاعر من وحدات دلالية معجمية من شأنه أن يوسعها كما يريد لتشكيل مرسله مفتوحة الفضاء من غير سقف ، وعلى أسس جديدة تختلف عن أسس الصناعة . لا تقوم مثل هذه المرسله على ماهو قبلي ، أي إنها لا تستحضر بل تولد فمجموع الكلمات يشكل الحقل الدلالي الذي لا يكون حقلا دلاليا عاديا لأن عملية الانحراف في المعنى هي التي تؤسس فيه شعرية وكما يقول بارت (1) « إن هذا الحظ اللغوي الذي تخرج منه ثمار ناضجة للدلالة يفترض دائما شعريا ليس هو زمن «الصنع» بل زمن المغامرة الممكنة وحصيلة اللقاء بين الإشارة والنية .

إن الشعر الحديث يعارض الفن الكلاسيكي عن طريق اختلاف يشمل مجموع البنية اللغوية ولا يترك نقطة مشتركة بين هذين الشعيرين سوى النية السوسولوجية الكامنة وراء كتابة الشعر» فبقدر ما يكون الانحراف أوسع يكون النص أشعر ، وبمقدار ما يكون الانحراف أقل يكون النص أبعد عن الشعر ، فلفظة «ذنب» مثلا كما وردت في قصيدة «ليكن جحيما كل ما قبل في البحر» لعبد

الفتاح بن حمودة من مجموعته الأولى «الصباحات» يكون لها مستوى دلالي أفقي هو معناها الاصطلاحي (الذنب : حيوان مفترس غير أليف يعيش في الغابات معروف بمكره وخداعه والذنب مرتبط بحيوان مقابل له وهو فريسته المحبذة والسهلة هو : الحمل / الحروف رمزا للوداعة والألفة والبراءة) ثم مستوى انحرافي هو المعنى المكتسب

الذنب هو ذنب الكلام (ما الجامع بين المكر والذنب ؟) فالذنب هو المخادع كذلك الكلام مخادع وقديما حذر من الكلام عبّر عنه التوحيد بقوله «الكلام صلف تياه» وكذلك الجاحظ بقوله «اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول» وكما يقول تودوروف «لا تسمي الشعرية إلى تسمية المعنى، وإنما تستهدف معرفة القوانين العامة التي تمهد لولادة كل عمل . وفي مقابل العلوم .. لا تفتش الشعرية عن هذه القوانين إلا داخل الأدب نفسه فالشعرية هي إذن اقترب من الأدب كواقعة مجردة وباطنية في الوقت نفسه» أو كقوله (2) «إن العلاقة بين الشعرية والتأويل هي تماما علاقة تكاملية» . ولعل استعمالنا لمصطلح الانحراف الشعري أو العدول الأسلوبى أقرب إلى الصحة وذلك أن الشعر استنادا إلى مفهوم الانزياح لا يمكنه أن يكون التفسير الأمين (أو الصادق) ليكون غير عادي بل هو التعبير

الصورة في هذه النصوص مستمدة من اللغة وتتألف باللغة أساسا وتتشكل في إطارها ذلك أن الشاعر يجمع بين كلمات ظلت طوال أحقاب تعتبر من الكلمات أو الألفاظ المتقابلة أو حتى المتنافرة :

م (1) أبيض الليل الجمع بين المتقابلات من الكلمات في صيغة اقتران كالإضافية
م (2) دماء خضر : الدماء لا يمكن أن تكون إلا حمراء فكيف تكون خضراء فقد لا يكون ذلك إلا حين نكتبها بحبر أو لون أخضر لكن على مستوى الصورة لشيء يستحيل على الشاعر

م (3) ضحكات عيباء هل ثمة ضحكات تنظر حتى نذكر المقابل لها وهي «العيباء» لكن نحن لسنا مطالبين بفهم اللفظة في حد ذاتها ولكن بتشكيل ما تشير هذه اللفظة ، ومدى اقترانها بالنور والإشراق ، بل حتى الاشتعال (اشتعال الضحكات) فنحن إذا أردنا فهم هذه الصور المركبة بل استيعابها على الأقل لابد من أن نمثل الخطأ التي تشتغل في إطارها الذات الكاتبة ، حين تحت باللغة عالما عجيبا غريبا ، مدحشا ، أداها في ذلك الحروف والكلمات ، تقارب بين ألفاظ ظلت على مدى أزمان ، متباعدة ، وتلك في نظري ميزة هذا النص ، بل لعلني لا أغالي إذا قلت إن شجاعته وشطارته وجرأته هي في الجمع بين المتنافرات والمتقابلات لتأليف صور لا هي سرالية ولا هي تجريدية ،

غير العادي لكون عادي ، أي إذا شئت كتابة الغامض بلغة واضحة لا يحتاجه الواضح بلغة غامضة . ولعل خير ما نختم به هذا الفصل قول جبرار فيستر (3) «اللغة خيانة... لما نقله وخيانة لوجودنا كاشياء في هذا العالم : إننا بداية خيانة وبداية جنون واللغة هي بداية الإثنيين معا ، ولهذا علينا أن ندخل لغة بلا منهج ولا تخطيط علينا أن نخوض اللغة نفسها » فهذا القلق وهذا الشك له ما يبرره ، فأكثر الشعر الحديث شبيه بـ «طاق زخرفي هو مجرد رسم في جدار قائم أي نافذة صغيرة مرسومة منغلقة لا تنفتح على أي شيء هي نافذة عيباء أو مجرد عتامة للعين ، مادام هذا الشعر يجري ويدور في مناطق الغرابة والذهشة واللغة التي مر عليها الزمان تشبهه بمرآة «مالارمييه» و «نوافذ بودليس» وهي عتامة لليد أيضا ولكل ما يستعصي على الاتصال واكتناه المعنى عبر عن ذلك المنصف الوهابي بقوله في مقدمة آنية الزهر لعبد الفتاح بن حمودة (4) « لكأني أتملى الميناء في ساعات الصباح الأولى ، أرى مراكب وزوارق صغيرة بألوان رصادية مبلولة أقول هي «هنا» مثلما هي «هناك» ذلك هو بيت الشعر الذي تسكن فيه الشعرية وتسكن إليه »

10. تشكل الصورة الشعرية في قصيدة النثر «آنية الزهر» نموذجاً :

البلاغة القديمة من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية صعوبة في فهم هذا الخطاب .

فعدم قابلية الخطاب الشعري المعقد (تعقيدا) للفهم إنما تنبع من طبيعة بنيته غير السليمة ، والمنافية لقواعد النحو التقليدية أو السائدة في الاستخدام الحالي في حين أن صعوبة الفهم التي تكتنف الخطاب المعقد (تعقدا) ينبع بالأحرى من ضخامته وكشافته الدلاليتين . بتعابير أخرى ، إن عدم قابلية الإيصال أو قلتها في التعبير الشعري المعاصر وخصوصا في «قصيدة النثر» تتمثل على مستويين من الانزياح : الأول تركيبى والآخر

وإنما تتراوح بينهما باحثة عن ذاتها ، ساعية إلى تشكيل كيانها من ذاتها ومنطلقها الخاص الذي لا يدرك كنهه إلا صاحبه عبد الفتاح .

م (أنا ورد الحكايات أنا ما أريد)

فالصورة التي يشتغل عليها عبد الفتاح صورة حسية خيالية قريبة ، بعيدة في آن معا لكنها لا تخلو من التجسيد الطبيعي كقوله (من وضع دم الوردات على صدري) ويمكن لنا كذلك أن نتوقف عند صورة فيها من الإيحاء والشاعرية والتطواف بين ذبذبات العالمين الذين ذكرتهما سلفا وهما العالم العلوي والعالم

السفلي وذلك في قوله (لم أجد قمرًا يا حبيبي أرحب من وردة في الشتاء)

11 . بين حلم الغموض وغموض الحلم :

لعل الناظر في الخطاب الشعري الحديث يلاحظ أن أهم سمة له هي الغموض على المستوى العضوي للكلمات أو العلائق النحوية والمنطقية أو على مستوى «هندسة اللغة» بعبارة خالد سعيد مما أنتج في كثير من الحالات صور مغرقة في الغموض وفي التعقيد ولعل هذين المصطلحين وغيرهما من التعابير الدالة على الانزياح وقلة الوضوح وصعوبة اللغة الشعرية «الغريبة» و«الإيهام» و«الكثافة» و«التعمية» ... قد أحدثت رجّة أو ارتباكاً لدى مستقبل تعود على قوانين

الدلالي .
ولعلنا إذا انطلقنا من رأي أدونيس (1) أنه إذا كان الشعر الحديث فيما «يقول نفسه» يقول «خالقه» في الوقت ذاته هذا الخالق الذي يصبح بمثابة «ذاتية منسحبة من العالم» تتركس على هذا النحو ، بينها وبين القارئ «غياب جميع الأفكار المشتركة والثقافة الشعرية المشتركة»

كما يعبر أدونيس فأنه سيظلّ حاملا للمعنى كما يرد لدى جان كوهن وبالتالي لنظام إشارات يمكنه إيصاله . ذلك أن كل «ذاتية مطلقة» إذا كان ثمة بالفعل ذاتية مطلقة . إنما تشكل لا معنى ، وعيشا كاملا ، انطلاقا من جميع وجهات النظر ، وخصوصا وجهة النظر

فالقاسوس الشعري كما عرضنا له في دراسة الصورة الشعرية عند **عبد الفتاح بن حمودة** نموذجاً يتعرض على هذا المستوى إلى تحوُّك مهمٍّ في قيمته الداخلية إمَّا عن طريق انزلاق معيَّن في الدلالة أو ابتكار دلالي جديد ، وإمَّا عن طريق ارتقاء «الإشارة» إلى «رمز» بسيط أو معقّد ، يبدو بحاجة إلى «ترجمة» أو إيضاح موجٍّ للجمهور غير الم مطلع ، وهذا ما يدعوه (1) أدونيس بشحن المفردات بمعنى لأحمله في الأصل أو لم تعتد أن تحمله ، ويمكن أن نأخذ أمثلة عما قلنا :

م : موسيقى خضراء م : شجر النسيان

م : أغصان الصّحراء م : نجمة الأرض

م : الموسيقى الخضراء التي تأكل الأصابع

ولعلّه إن كان ثمة غموض في ما يكتبه **عبد الفتاح** أو **نصر سامي** أو غيره فإن الغموض في ما يكتبه يتمثّل في الشكل وليس المفكر فيه داخل الشكل وقد يتوهّم البعض أنّها صور تنشأ في رحم الحلم أو تشاركه بعض أضغاثه بينما في الحلم كما يقول **باشلار** «فضاء من الصور يسلسل بعضها بعضاً» فإذا درسناها في ذاتها في تشكّل لغتها الخاصة أمكن لنا أن تظهر بسرّها ، وفي الجملة فإن غاية الشاعر في «قصيدة النثر» أو «الشعر الحر» إنّما استنباط شكل للمعنى وإن أدّى ذلك إلى محو المعنى وكذلك خلق لغة جديدة داخل اللغة «لغة لزرق

اللغوية . إنّ «الجملة الشعرية» والجملة العبيّة تتصّفان في رأي **كوهن** «بالخروج» أو «الحرق» ذاته غير أنّ هذا الخروج قابل للارتداد أو التحوُّك الأولي دون الثانية أي أنّ ما يجمع بين الجملتين الشعرية والعبيّة هو بلوغ الصّواب الخاص (2) «إنّ المظهر العبيّ للقسيّدة ضروري لها . ولكنّه ليس مجانياً مطلقاً . إنّهُ الثمن الذي يتعيّن دفعه من أجل تحقيق وضوح من نمط آخر . فعن طريق «الصّور» يكون المعنى ضائعاً ومقبوضاً عليه في الوقت ذاته » ولذلك لم يعد من الممكن التحدّث مع

الشعر الحديث مقولة أنّ «أفضل الشعر» هو ما يأخذنا المعايير الثلاثة التالية مثل سائر ، وتشبيه نابه ، واستعارة قريبة ، تجنّب للغموض وبذلك وقع أكثر من كتبوا الشعر الحديث

وخصوصاً كتاب «قصيدة النثر» **كعبد الفتاح بن حمودة** أو **نصر سامي** عنهما في مأزق التمزّق بين ما عبّرنا عنه بـ «حلم الغموض وغموض الحلم» لأنّ حلم الغموض شيء ، وغموض الحلم شيء آخر أي أنّ حلم بأن تكون غامضاً فذلك مشروع لك أمّا أن يكون حلمك غامضاً فذلك في نظري هو المشكل ، لأنّني كما ذكرت هناك فرق بعيد بين من يكتب الغامض بلغة واضحة وبين من يكتب الواضح بلغة غامضة ممّا يؤدّي إلى ما عبّرنا عنه بالاعتقيد .

تذوق هذا اللون من الشعر لكن مع الشعر الحديث وخصوصاً «قصيدة النثر» عند كل من نصر سامي وبن حمودة وغيرهما .

تطلق اللغة للمتقبل عنان الخيال ، فيساهم هو الآخر في بناء النص بل في نجاح خطابه . فاللغة عند هؤلاء ليست مفرداتها أحجاراً صلبة بها يبنون نصوصهم وإنما طينا مرناً أو صلصا لا يشكّلون به في كل مرة بيتاً معيناً .

وهذا لعصري هو الخطير في لغة الشعر العربي المعاصر والجديد وأرى أن ما وجده من معارضة أو رفض أو إدانة هو طبيعي جداً ذلك أن التقبل للشعر العربي لم يتعود على هذه البلاغة الجديدة التي صدمته والتي عصفت بمرجعيّات اللغة الشعرية المتوارثة .

13- النقد :

لعله بعد كل معارضتنا له أثناء هذه المقاربة النقدية بين البحث في مصطلحي «قصيدة» و«نثر» وهوية وجذور «قصيدة النثر» وبين الحدود الفاصلة والواصلة بين النصّ النثري والنصّ الشعري وبين نموذجين من الإنتاج الشعري التونسي المعاصر المنتمين إلى هذا الشكل من الكتابة أعني (قصيدة النثر) وهما إنتاج كل من نصر سامي في مجموعته «أنهار لأعالي الضوء» وعبد الفتاح بن حمودة في مجموعته «الصباحات» و«آنية الزهر» لا يمكن إن ننكر أن هذا الشكل من الكتابة قد

الدم في لغة قوت» بتعبير نصر سامي وهل «الشعر إلا لغة في اللغة» كما قال فالبيري .

12- منطلقات هذه الكتابة :

تنطلق هذه الكتابة الجديدة في شعرنا التونسي الحديث على الأقل من طموح جموح ولكنه كبير ، واسع وعظيم ، ذلك أن هذه الكتابة تؤسس للغة جديدة تعصف بمرجعيّات اللغة العربية فتسعى نحو إيلاف مالم يتألف والوصل بين مفردات لم تكن متصلة (1) «أنهار لأعالي الضوء» انفتاح على بلاغات لم تدجن وإقرار بموت المعنى وامحاء الدلالات وتصوير مشاهد الوأد والفجائع [...] نزرع دماً آخر في قلب اللغة وقلب العالم» .

تسعى هذه الكتابة إلى تشكيل رسم باللغة وفي اللغة وكأنّي بهذه الكتابة متأرجحة بين الشعر والرسم بالألوان (2) «موسيقى خضراء» تسعى إلى بناء علاقة جديدة بين الكائنات اللغوية لم تكن معهودة وخلخلة نظامها وتركيبها المعهود ، وهذا هو الجديد على القارئ والذي يصدمه هو هذه البلاغة الجديدة التي تتخيّل (أي تعانق الخيال) قبل أن تعقل (يقبلها العقل) .

فالعلاقة بين هذه الكائنات اللغوية قد تكون غير منطقية (عقلياً) أو معارضة لمنطقية وعقلانية الشعر العربي القديم الذي يمتلك القارئ معه جهازاً بلاغياً يقدر بواسطة فهم أو

اللغوي الجديد وفي تركيب جملتها وفي صورها ولعلي أوافقهم في كون هذه النصوص متشابهة في هذه النقطة لكن التشابه في نقطة واحدة لا يعني أويستدعي أن نقول أن هذه النصوص كلها متشاكلة ، متجانسة وبالتالي نص واحد .

يمكن لي كذلك أن أرد علي الذين يعتبرون أن لنا في الشعر التونسي الآن خاصّة لدى شعراء هذا القرن (20) نصوصا لا تجارب ، ذلك أن المطلع على أعمال كل من نصر سامي سواء في مجموعته الأولى «ذاكرة لاتساع اللغات» ومجموعته الثانية «أنهار لأعالي الضوء» وكذلك في عمله الشعري الثالث

«سيرة لقداس النهايات» وهو تحت الطبع أو في أعمال عبد الفتاح بن حمودة الشعرية «الصباحات» و «آنية الزهر» و «أجراس الورد» والكتاب النثري الذي سيصدر قريبا الموسوم بـ «حركات الورد» يلاحظ والكتاب أنه أصبحت لهذين الشاعرين تجربة جليّة على الأقل يمكن للمرء الباحث أن يظفر فيها بخصوصيّة جديدة وإن شئنا «حاسيّة» جديدة للكتابة الشعرية .

ولعله لا يختلف إثنان حول الأزمة التي يعانها الشعر الآن ، وهي أزمة نقدية بالأساس ، ذلك أن وفرة النصوص الشعرية وتزايد عدد المجموعات الشعرية «لشعرانا الشبان» لم توازها وفرة على مستوى النقد وتلك في نظري

حقّق انتصارا رغم التحفّظ السائد في الذوق العام إزاء هذا الإنتاج الشعري القائم على هجران الإيقاع العزيز على الأذن العربية ، ولعله لا يختلف إثنان حول ما أصعب يحظى به هذا النوع من الكتابة جع من أهميّة واهتمام متعاطمين على الساحة الشعرية وفي الأوساط المثقفة بالتحديد ، فقد بدأت معارضة هذا النوع الشعري الخاص تخلي المكان تدريجيّا لتقييم يبدو أكثر تطابقا مع المفهومات أو في الأقل المحاولات التجريبية المعاصرة في أوروبا وأمريكا فكيف ينطبق ذلك من موقعنا الخاص علينا ؟

إن جمعنا بين نتاج كل من عبد الفتاح بن حمودة ونتاج نصر سامي مع بعضهما لا يعني أنهما تجربة واحدة ولا يمكن أن يكونا كذلك ، ذلك أن كلّ شاعر مهما كان متجانسا مع حركة ما يكتب في إطار خطتها لا بد أن يكون له صوته الخاص وبذلك فأنا أرد بشدّة على كلّ الذين يزعمون أن «شعراء نا الشبان» يكتبون نصّا واحدا وذلك يرجع بكل بساطة لأنّ لكل شاعر تجربته الذاتية الخاصة وثقافته الخاصة وميولاته الخاصة وجهاز تصوّره للأشياء الخاصة ومهما حاولوا أن يجمعوا هذه الأصوات في صوت واحد ، فأنما من قبيل الحكم على هذه النصوص من الخارج والهروب منها لأنّها في رأيهم متشاكلة في غرابتها وفي معجمها

تِيَار شعريّ معيّن أو أن تكون «قصيدة النثر» التي اضطلعنا بدرسها مجرد نسخ لـ «قصيدة النثر» في الغرب مشوّهة في أغلب الأحيان ولعلّي أستشهد هنا بما صرّح به أدونيس مؤخرًا أن «قصائد الشعريّة كانت في أغلبها نسخًا لـ «قصيدة النثر» الغربيّة ممّا جعله يعود إلى الشعر المتفعل ، ولعلّي أعدّ التصريح خطيرًا على «شعرتنا الشبان» أقصد شعراء أواخر هذا القرن في تونس على الأقلّ أن يتوقّفوا عنده ويستفيدوا منه .

الخاتمة:

لعلّنا حين نقارن بين نتاجنا في «قصيدة النثر» داخل تونس وبين نتاج هذا النوع في الشرق أو حتّى في المغرب الأقصى وغيره نلاحظ أننا متأخرون بازائهم ، ولذلك فحسب رأيي لا بدّ لهذا النوع من الشعر أن يتزايد وأن تواكبه حركة نقدية وأن نتجاوز موقفنا الرافض أو المتحفّظ من «قصيدة النثر» الذي تمّ تجاوزه عند غيرنا وأن نبحث في هذه النصوص وخاصّة في ما يميّز شعريّة بعضها عن بعضها الآخر ، لأنّه مهما يكن من طبيعة الأمر فقد استطاعت قصيدة النثر رغم عصفها بمرجعيات اللّغة الشعريّة المتوارثة وبفعل «روح التصميم الحدائي» انطلاقًا من حركة «شعر» إلى يومنا أن تنال ما دعونا به «حقّ الإقامة في مدينة الشعر»

جوهر هذه الأزمة وعينها ، وبالجملة فإنّه لا قيمة بل لا مستقبل لهذه الإبداعات الشعريّة مالم يوازيها عمل إبداعيّ يوجّهها ويبحث فيها ويدرسها ويصلح العلاقة التي انقطعت بين الشاعر والجمهور .

الإستنتاجات:

لعلّه رغم عصف «قصيدة النثر» بحدود المرجعيّات الشعريّة المتوارثة لغة وصورة وتركيبا ، فإنّها قد فتحت للشعر العربي مسالك جديدة وأجرت في شرايينه دماء جديدة ، فكانت بذلك وفيّة للمفهوم الحقيقي للشعريّة الذي هو انفتاح دائم على العالم وتجديد دائم للغة في إطار اللّغة .

وبذلك أن تكون لنا أنواع شعريّة أفضل من يكون لنا نوع وحيد فمسا الشعر الموزون المقفّى أو المفتعل أو الحرّ أو «قصيدة النثر» إلّا لون من جملة ألوان الشعر الذي تشكّل به مجتمعة سمفونية الشعر الجدير بالخلود وبذلك فنحن محمولون في خضمّ التحوّل الشعري المعاصر ، على أن نعترف بتعددية «الأنماط» الشعريّة وبالنتيجة بتعددية واسعة من نماذج من «البنى» بحسب اختلاف مفهومات الشعراء ، والمراحل التي تؤثر في التطوّر التجريبي لكلّ منهم . فالمهمّ ليس في الشكل الشعري وإنّما في مدى توقّف الشعريّة في أيّ شكل شعري وأخشى ما يخشى أن يكرّس

فَنّانٌ يغترب

شعر : عبد الحق الطرشوني

على شاطئ النسيان
وبين قصور من الرمال
وقف ينظر إلى ما وراء البحار
إلى مدينة الأنوار
إلى مدينة الإبهار
وفي يده حقيبة من خشب
فيها دفاتر أحزانه
وأوتار العُرب

وقف ينتظر
قدوم السفينة
قدوم الحبيبة
قدوم قرطاج
ككل مساء

يعود من حيث أتى
والنفس حزينة
رحيل اللاتهاية
انتهى منذ البداية .

وخلاصة القول إنّ قصيدة النثر في حاجة الآن في تونس على الأقلّ إلى حركة نقدية ترفدها كي تلحق بركب ما وصلت إليه عند المشاركة وعند بعض المغاربة على الأقلّ . وأن نتجاوز صراع الأشكال الشعرية العقيم ، لأنّ المسألة لا تخرج عن إطار التشكّل الحضاري الحارق ألا وهو مشكل التحديث .

أسماء المصادر والمراجع :

* المصادر :

لسان العرب الجزء الثالث الجزء 23

* المراجع :

لحظة المكاشفة الشعرية . إطلالة على مدار الرعب .

م ل اليوسفي

الحدائق الشعرية العربية بين الإبداع والتقليد والنقد

د خليل أبو جهجة

من الصورة إلى الفضاء الشعري د . ديزيرة سقال

سياسة الشعر - أدونيس

جريدة أخبار الأدب 24 جانفي 1999 (ملف حول

قصيدة النثر)

حركة الحدائق في الشعر العربي المعاصر كمال

خيريك .

مظاهر العقلانية في فكر الحداد

إنطلاقاً من كتاب « امرأتنا في الشريعة والمجتمع »

بقلم : فتحي أولاد بوهدة

5- تقديم المسألة ودوافعي اختيارها :

يعد استئناف الرأي في فكر الحداد انطلاقاً من كتابه (امرأتنا في الشريعة والمجتمع) محفوفاً بغير قليل من المزالق ذلك أن الدراسات فيه تكاثرت تكاثراً مقلداً يوشك أن يجعل من كل حديث جديد صدى لغيره وتكراراً مملأ على أن ما تقدم عليه الآن قد يتجاوز هذا الإشكال المعرفي من وجه رئيسي مؤداه أن من كتب عن الحداد ، بحسب ما وقفنا عليه ، لم يخصص فصلاً على حده لعقلانية الحداد وهو وإن ذكرها فباعتبارها رافداً من الفكر النهضوي من جملة روافد أخرى لهذا المصلح ، ثم إن كثيراً من هذه الدراسات تصطبغ بنبرة سجالية حماسية بالغت أحياناً في الثناء والتعجيد أو الإنكار والتسخيف (1) مما جعل المنزع الفكري في البحث يتراجع إلى مراتب خلفية غير ذات اعتبار . وهكذا تبدو هذه المحاولة سدا لهذه الثغرة . فما العقلانية ؟ وما معالمها في كتاب الحداد ؟ وما حدودها عنده؟

6- مفهوم العقلانية :

العقلانية مصدر صناعي مردود إلى العقل ، وهو " ليس مجرد التصورات التي ترتسم في ذهن صاحبها عن الأشياء بل هو ربط تلك التصورات في أحكام عن تلك الأشياء " (2) ، وما يشير إليه

إليه زكي نجيب محمود بالأشياء موجود بالواقع على جهة التخالف المتفرع إلى ثلاث شعب رئيسية هي : الموضوع المتعلق بالعلم النظري (الصوري) ، والموضوع المتعلق بالعلم التجريبي (الطبيعي) ، والموضوع ذو الصلة بالمعارف الجمالية والأخلاقية و تأسيسا على هذا يكون العقل خاضعا إلى مراتب بحسب الموضوع المقصود بالإدراك ، ولذلك " تسعى دعوة الحداثة الراهنة إلى أن تطرح الحداثة كمصدر لثقافة جديدة أو لمعقولة تشمل عادة تكوين العقل في منظوماته الأساسية الثلاث : منظومة العقل النظري وهي التي تحدد داخل مجتمع محدد أسس المعرفة الحقّة أو الحقيقية أي أصل المعلومات الصحيحة وتؤسس إذا للعلم ومنظومة العقل العملي التي تحدد معيار السلوك الصحيح أي الواجب وتهم كل ما يتعلق بالأخلاقية الاجتماعية أو الفردية ، ومنظومة العقل الرمزي أو الخيال التي تعنى بمعيار الجميل وأصل الجمالية (3) .

ولعل من يحاول سلك كتاب الحداد " امرأتنا في الشريعة والمجتمع " في إحدى هذه الأنحاء من العقلانية يدرك أن فكر الحداد من المذهب الاجتماعي الذي يرصد واقع المرأة ويحاول تعقب أسبابه وغاياته وأثره في المجتمع التونسي والأسرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrat.com

7- التعريف بالطاهر الحداد:

عندما كتب منجي الشملي فصلا في " التجديد " سنة 1961 (4) عن الطاهر الحداد ألمح فيه إلى ما يعد شفقة ورثاء لهذا المفكر ، حتى أنه عنن فصله ب " التعريف برائد مغبون " ويجاري أبو القاسم محمد كرو منجي الشملي فيذكر إلى جانب الحداد صفة "المنسي " (5)، ولعل من الأسباب الداعية إلى هذا الإشفاق ، آنئذ ، ندرة الإهتمام بالحداد والإعراض عن تحليل فكره ومحاولة تنزيله المنزلة المواتية ، حتى أنه إلى غاية التاريخ الذي كتب فيه منجي الشملي مقاله حول الحداد لم يؤلف فيه إلا كتيب مختصر هو كتيب كرو المشار إليه ومقال عابر في تاريخ الأدب التونسي حبره زين العابدين السنوسي (6).

ولكن اليوم صارت الكتب في سيرة الحداد كثيرة فألت معالم حياته واضحة معلومة ويمكن اختصارها في المحطات التالية :

- ولد الحداد بتونس سنة 1899 وهو من أسرة جنوبية نزحت من حامة قابس .
- مرحلة التعليم : نال شهادة التطويع من الزيتونة سنة 1919.
- مرحلة النضال السياسي : ألتحق بالحزب الحر الدستوري التونسي (القديم) منذ تأسيسه على يد عبد العزيز الثعالبي سنة 1920، ونشط فيه بالرأي والخطب ورسم الاتجاهات العامة .
- مرحلة النضال النقابي : أنضم الحداد إلى هذه الحركة منذ انبثاقها على يد محمد علي الحامي سنة 1924 .
- مرحلة النضال الاجتماعي : تأليف (امراتنا في الشريعة والمجتمع) سنة 1929 ونشره سنة 1930.
- توفي الحداد سنة 1935.

8- أسباب تأليف امرأتنا في الشريعة والمجتمع :

لعل المتأمل في دارسي فكر الحداد يلحظ ببسر أن تعليلهم لتأليف كتاب (امرأتنا في الشريعة والمجتمع) تراوح بين المائي الإقليمية المتصلة بالكفاح الوطني (7) والآفاق الإصلاحية ذات النسب بفكر النهضة العربية منذ أواخر القرن الثامن عشر، وقد سلك محمد القاضي فكر الحداد المتعلق بالمرأة في غضون بحثه عن العوامل الداخلية والخارجية الداعية إلى إثارة هذه القضية عند النهضويين منذ التطهطاوي الذي كان أول من أشار إليها منذ سنة 1834 (8). ويغلب على الظن أن الدافع إلى هذين النحويين من تأطير كتاب الحداد هو ما كان يعمد إليه هو نفسه من مقارنات كثيرة للمرأة التونسية بأختها المشرقية والأخرى الغربية ، وهو في ذلك لم يلتزم التزاما صارما بالمنزع الإقليمي وحاول تقديم رأيه مراوحة بين الدعوة إلى الإصلاح في تونس وفي دائرة المشرق وقد أشار إلى ذلك في المقدمة حيث قال : " وعسى أن أكون بهذا قد أدبت واجبا في عنقي أراه دينا علي لجنس أنا أحد أفراده وأمة أنا واحد من أبنائها " وهكذا لا يكون بعيدا أن نعلل فكر الحداد في قضية المرأة بالسياق العام للنهضة العربية، وقد تركز في أساسه على محاولة الإجابة عن سؤال مهم هو : ماهي شروط نهضتنا للحاق بالآخر (الغربي الناهض) ؟ إن كتاب الحداد (إمرتنا في الشريعة والمجتمع) هو دون شك إجابة مخصوصة عن هذا السؤال

9- محتوى الكتاب :

إن هذه المرحلة تسلمنا رأساً إلى بؤرة ما يميز فكر الحداد العقلاني وأول ما يعترضنا سؤال يتعلق ببنية الكتاب فما دلائلها ؟ الكتاب في قسمين ومقدمة وخاتمة يمتد القسم الأول التشريعي على 96 صفحة والقسم الثاني الاجتماعي على 86 صفحة وفرق 10 صفحات قد يبدو غير ذي خطر إذا قيس إلى حجم الكتاب كله ، ولكنه على ذلك يحمل دلالة تشي بأهمية القسم التشريعي لما فيه من تجديد للرؤية ، ولعله هو القسم الذي دعا إلى الثورة على الحداد وتآلهب الخصوم عليه ، ولذلك أطل في بادئ جهدا مضاعفا للإقناع وكسب التأييد ، والملفت حقاً أن الدارسين لم يقفوا أيضاً على محاولة توضيح العلاقة بين هذين القسمين مع أن تماسك الكتاب غير ممكن دون تبين هذه العلاقة ، والظاهر أن الحداد سعى إلى إقامة علاقة نقیضة بين جزأي الكتاب : فبإذا كان القسم الأول هو رسم صورة المرأة المثلى كما تبدو في الإسلام من خلال فهم الحداد له فإن القسم الثاني يمثل الحالة الدنيا للمرأة وقد بلغت نتيجة ممارسات خاطئة إظهارها لها (فكر ديني متخلف).

إن صورة المرأة في القسم الاجتماعي إتهام لنتائج فكر ديني متحجر باسم مثل أعلى لفكر إسلامي نير تم رسم معاله في القسم التشريعي ، فما هي صو ذلك الفكر ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

10- معالم عقلانية الحداد :

أ- في مفهوم الشريعة

بدا لنا أن مفهوم الشريعة عند الحداد باب على كتابه لسبب هام هو أن هذا المفهوم هو الذي وضع فكره في مهب رياح متعاكسة من الثناء أو الثلب لذلك احتاج هذا المصطلح إلى فصلة توضيح خصوصاً أن كثيراً من خصوم الحداد أو مسانديه قد تنكبتمثل هذا المصطلح تمثلاً دقيقاً بحسب ما يقصده هو منه .

ومفهوم الشريعة لغة يحتمل معنيين (9) هما المنهج والطريقة أو الغاية والمقصد، وانطلاقاً من ذلك اشتقت المتصورات المصطلحية وفي خلالها حصل النظر في تأويل الآيات القرآنية المشيرة إلى هذا المصطلح (10) ، وها نحن إزاء رأيين يمكن أن نمثل لأولهم محمد سعيد العشماوي وقد فهم

الشرعية باعتبارها المقصد الأسنى الثابت في الإسلام واختصره في مفهوم الرحمة (11) ، وهو يرى موقع الأحكام في الشرعية هو موقع (تطبيقات المنهج) والأحكام بعكس الشرعية ، متحولة بتحول بتحول الظروف وسير الزمن على أن هذا المفهوم للشرعية يقابله مفهوم آخر يجعل منها مفهوما مساويا لمفهوم الأحكام الفقهية :

يقول كمال عمران " يمكن أن نقول : حينئذ ، أن الخطاب الحضاري خطاب تأسيس لمستقبل يستعد لتبني الظاهرة الدينية ولن تتاح له في نظرنا فرصة التأسيس الحقيقي إلا قي ضوء الفصل بين مسائل الشرعية بما هي أحكام راسخة في الفقه متماشية مع الطبيعة البشرية ما هو مجال معرفي ثقافي (12).

فإذا حاولنا الآن أن نتبين مقعدا للحداد في هذين المسلكين أمكننا أن نجزم بشيء من الاطمئنان أن من نظر في كتاب (إمرتنا في الشرعية والفجتمع) أغلبهم المطلق قد حكموا للحداد بأنه يعني بالشرعية الأحكام الفقهية (13) . وهذا الفهم لمقصد الحداد من الشرعية لا يستقيم فهو يقول في وضوح ما بعده وضوح (وبهذا يتبين لنا أن روح الشرعية أبلغ وأبقى من فصولها التي لا بد أن تتأثر في بعض جهاتها لسجاية العصور المارة فيها (ص 38) فالحداد يرى لشرعية مفهوما واحدا يتلزم فيه بعدان : الروح والفصول أو الأصول والفروع أو الخالد والمنتهي إن الشرعية عنده لا يمكن اختصارها في الأحكام ، لذلك فهو يوضح رأيه في موضع آخر بشيء من التفصيل فيقول : " يجب أن نعتبر الفرق الكبير البين بين ما أتى به الإسلام وما جاء من أجله ، وهو جوهره ومعناه ... وبين ما وجده من الأحوال العارضة للبشرية والنفسيات الراسخة في الجاهلية قبله دون أن تكون غرضا من أغراضه فيما يضع لها من الأحكام إقرارا لها أو تعديلا فيها ببقا ما بقيت هي فإذا ما ذهبت ذهبت أحكامها معها" (ص 13)

والحق أن الحداد في فهمه للشرعية يقترب جدا مما ذكرناه عن فهم العشماوي لها وإن كان يختلف عنه في ما يراه من ضرورة التلازم في مفهوم الشرعية بين الأحكام والمقاصد وهو ما لا يراه العشماوي إذ يقدر للشرعية مفهوما على حده وللأحكام مفهوما على حده .

ب- في أن التدرج وسيلة النهوض بالشرعية إلى غايتها .

لكن ، كيف الوصول إلى المقاصد العليا للشرعية باعتبارها الهدف المأمول من الإسلام ؟ للإجابة عن هذا السؤال يعمد الحداد إلى الإفادة من مفهوم مركزي في آليات تفكيره هو " التدرج " ، أو تدرج " ويعمد هذا المفهوم أساسيا في تمثيل عقلانية الحداد في تقدير منزلة المرأة ذلك " أن المهم في التفكير

في التفكير الحداد هو المنطلقات الفكرية والتوجه المنهجي فالقسم التشريعي ليس هو موضوع الكتاب كما ذهب إلى ذلك بعضهم لأن الحداد لا يهمه أن يكون فقيها في الدين إنما غرضه إزالة العراقيل من سبيله للتمكن من تحرير أفكاره ، فجاء بفكرة التدرج أو التدرج (14) . وهي فكرة نجد الحداد يستند فيها إلى طبيعة الإسلام في مباشرة الواقع " . وهذا هو عين ما سار فيه الإسلام فيما عرف عنه من إتباع الحكمة التدرجية في تشريع أحكامه " (ص 14) . وهكذا يبدو التدرج طريقة الإسلام المثلى ، حسب الحداد في سبيل تحقيق مقاصده الشرعية وإن ذلك غير ممكن على سبيل الطفرة والتقرير المفاجئ بل لا بد من الأخذ بالاعتبار المراحل الدنيا لهذه المقاصد ، وهو يعتبر ذلك ضرورة تاريخية تعليمها شروط الواقع في فترة من فترات تطوره ، فالإسلام ، وجد مثلا المرأة الجاهلية محرومة من الإرث بل إنها إذا مات عنها زوجها أصبحت متاعا تستأثر به عائلة الفقيد ، فلم يكن له ، وهو دين الواقع أن يقفر على هذا الواقع ويقرر لها المساواة دفعة واحدة بل عمد إلى إعطائها نصف الحق الذي أعطاه للرجل في الإرث استعدادا إلى أن يقطع بها مرحلة أخرى من التقدم تقر بها من المساواة التامة مع الرجل .

ولا يرتبط التدرج ، عند الحداد ، بدرجة النضج الاجتماعي وحده بل له صلة وثيقة من ناحية أخرى بطبيعة الموضوع المتدرج فيه ، وعلى قدر إشكال هذا الموضوع وصعوبته تمتد فترة التدرج وتطول ، إذ عنده ، أنه ليس هناك ما ينبغي أو يحد على أن ما وصل إليه التدرج في حياة النبي هو نهاية المأمول الذي ليس بعده نهاية ما دام التدرج مرتبطا بما للمسائل المتدرج فيها من صعوبة يمكن دفعها عن قرب ويقرر الحداد أن قضية المرأة تبدو شديدة الحساسية والتمكن من نفسية الرجل فتدرج بها الإسلام دون أن يبلغ بها غاياتها القصوى مثلما حدث ذلك مع مسائل أخرى أقل صعوبة كمسألة الخمر مثلا ، وقد إنتهى التدرج فيها في حياة النبي .

ويبدو أن فكرة التدرج التي استقاها الحداد من مواقف الإسلام من مجالات أخرى كالرق والمرأة قد عممها فأعتبرها مبدأ إسلاميا عاما ومن ثمة طبقها على قضايا المرأة وحدد على ضوءها موقفه منها ، فال تصريح مثلا بضرورة المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث أو الشهادة أو قضية منع تعدد الزوجات لم يصرح بها الإسلام وإنما أدركها الحداد في ضوء ما رآه مبدأ عاما في الإسلام قائما على التدرج في سن الأحكام للبلوغ إلى مقاصده الشرعية العليا ، وقد أدرك فرج بن رمضان هذه الملاحظة وأدار عليها تحليله لفكر الحداد حتى خلص إلى أنها قطب الزحى في هذا الفكر فقال : " رأي الحداد إذن قائم على " تصور التحقيق الفعلي لما هو موجود بالقوة في الإسلام " (15).

ج- في أن الفكر الديني وسيلة الملائمة بين التدرج والواقع :

يستنهج الحداد بعبارة ساهرة تخلف الفكر الإسلامي وعجزه عن المطابقة بين الواقع والتدرج بالمعنى الذي تقدم ذكره ، ويذكر ذلك راثيا قائلا : " وما كان انهيار صرحنا إلا من أوهام اعتقدناها وعادات مهلكة فضيمة حكمتها في رقابنا " (16). والحداد ينأى بنفسه عن متابعة هذه الروح العامة للفكر الإسلامي ويصطنع في كتابه الاجتهاد ممثلا في القياس خاصة ، ولعل مفهوم القياس باعتباره " تطبيق حكم الحادثة الأصلية على الحادثة الفرعية لاشتراكهما في نفس العلة " ، قد بدا مرنا للحداد فدعا إليه وطبقه نافذا منه إلى بعض الآراء الطريفة التي ما زال بعضها لم يطبق إلى الآن لأن تفاعلات الواقع الاجتماعي مازالت متأخرة عن التلازم معه ، ويمكن أن نذكر أوضح الأمثلة التي ساقها الحداد في القسم التشريعي لنتبين عقلانيته في استخدام القياس :

الحالات	الحوادث	العلة المشتركة بين الأصل والفرع
الحالة الأولى	الأصل : إبطال الرق الفرع : إبطال تفرق الرجل عن المرأة	الاستبعاد (ص 37 امرأتنا في)
الحالة الثانية	الأصل : تحجير تصرف صاحب المال بماله إذ أساء التصرف فيه فبذره وأفسده . الفرع : تحجير تصرف الرجل في الزواج بالبطلاق إذا أساء التصرف فيه بإخضاعه	الإفساد والتخريب (ص 71) .

الحالة الثالثة	المبولة العابرة .	
الأصل : تعويض ما يتلف الرجل من مال غيره . الفرع : تعويض ما يتلف الرجل من حياة المرأة وراحة قلبها بفسخ وعد الزواج .	غرم الضرر (ص 77).	

11- حدود عقلانية الحداد

لم يستعمل الحداد لفظ العقلانية ولكنه دعا إلى استعمال العقل ، ومدحه إذ شبهه بالثروة (ص 206)

وكان حرا في استعماله له عند النظر في وضعية المرأة ، ولكن ذلك لم يحل دونه والتعبير الشديد عن احترامه للإسلام وقد عبر عن ذلك بألفاظ وتعابير مختلفة عديدة تدل على الإجلال والتقدير وبذلك لم نجد في مواقفه تلك الصراحة والقوة اللتين عبر بهما النهضويون المسيحيون عن آرائهم نحو سلامة موسى وشيلي شميل وفرج أنطون.... والسبب أن هؤلاء كانوا يتحدثون عن الإسلام من خارجه ، فهم لم يسوا مسلمين ولم يستشعروا تمزق الضمير الذي كان يملأ نفوس أمثال الحداد وعلي عبد الرزاق.... فهؤلاء كانوا يحكمون على الإسلام من داخله باعتبارهم يؤمنون بهذا الدين ، وكانوا يواجهون في ذلك المحافظين على أساس التقابل بين نظرتين : نظرتهم هم المؤسسة على تقدير موضوع المرأة وغيره تقديرا قائما على نسبة التاريخ وبشريته ونظرة أولئك القائمة على الإطلاق وفرض المثال على الواقع وهم بذلك يحاصرون الحقائق الحاضرة بمعيار الماضي وعدم مراعاة النسبية....

ثم إن الحداد ، إلى ذلك جميعا ، يبدو نازعا منزعا انتقائيا في التعامل مع التاريخ ولعله حماسه الكبير لفكرته الإصلاحية حول المرأة دفعه إلى ذلك دفعا فجعله يذكر فقط الجوانب المظلمة من تاريخ العرب والإسلام داعيا إلى ضرورة تجاوزها لتجديد الفهم للإسلام في علاقته بالواقع ، ولعله كان مدفوعا إلى ذلك أيضا بهذا الحماس المحرور إلى ألق الغرب ونهضته وكأنه يريد أن

يجتثه من جذوره ليستنبته في محيط مخالف. ولعل هذا ما أثر على أسلوبه فرغم ما قدمه من حجج متنوعة من التاريخ والعقل والفقه ، ورغم اصطناعه للروابط الحجاجية العقلية لصياغة تلك الحجج فإنه لم يتمكن من التخلص من كثافة أساليب الإنشاء مما طبع لهجته بالانفعال الذي أرتقى بها في

12- الخاتمة :

كان الحداد في (امرأتنا ...) مأخوذاً بفكرة تاريخية الإسلام في مقاربة الواقع ، وهو يقدر رأيين في هذا الصدد أولهما أن تطبق هاته التاريخية في المجالات الاجتماعية فتخضع للتدريج المتواصل عبر الزمن وثانيهما أن تضل مقاصد الإسلام العليا كالوحد والعقيدة والشعائر بمعناى عن هذه التاريخية . وهي وحدها ما يحفظ على الإسلام هويته وجوهره . ولعل موضوع المرأة وقضاياها تطل عند الحداد من صميم مفهوم التاريخية فلئن احتكم القدامى في شأنها إلى معايير نابعة من مشكلاتهم وظروفهم فإن لنا ظروفًا مختلفة ومشاكل مغايرة فلا بد أن تختلف معاييرنا عن معاييرهم في هذا الشأن .

إن مفهوم التاريخية يقف في أصل رؤية الحداد والنهضويين الحداثيين لعلاقة الإسلام

بالعصر

13- الإحالات :

- 1- لمن أراد التوسع في هذا فليعد إلى كتاب أحمد خالـد : أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونظال جيل ، فصل الخصومة حول كتاب الحداد -الدار التونسية للنشر 1979-ص 314 وما بعدها .
- 2- قصة عقل لزكي نجيب محمود -دار الشروق -ط 1 -1983- ص 14

- 3- اغتيال العقل لبرهان كليون -فصل محنة الثقافة العربية دار المعارف للنشر -تونس 1989
- 4- في الثقافة التونسية لمنجي الشعلي -دار الغرب الإسلامي ط 1 -1985 - ص 172
- 5- الطاهر الحداد لأبي القاسم محمد كروا -المطبعة العصرية تونس 1957 ط 2- ص 15
- 6- منجي الشعلي م . س.م ص 180
- 7- قضية المرأة في فكر النهضة لفرج بن رمضان -دار محمد علي الحامي للنشر 1988- ط 1- ص 4.
- 8- الفكر الإصلاح في القرن التاسع عشر -سلسلة دروس المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر 1990- ص 77 .
- 9- أصول الشريعة لمحمد سعيد العشماوي -سينا للنشر 1991 - ط 3.
- 10- هذه الآيات هي : الجاتية / 18 -الشورى /13-المائدة / 48 -الشورى / 21 .
- 11- محمد سعيد العشماوي م . س.م.
- 12- العلوم الإسلامية لكمال عمران -سلسلة دروس المعهد الأعلى للتربية AR 219 - 1995 ص 15
- 13- كمال عمران م.س.م.
- 14- مجلة رحاب المعرفة س 3-ع 15- ماي - جوان 2000- صفحة 32 .
- 15- فرج بن رمضان م . س.م. صفحة 50

في الأعداد القادمة

الثقافة ونحت الأصنام عبد القادر الطهرهوني
 لعبة يوسف الصانع ...
 وعقدة الإتصال بالمحارم د . حسين سرمك حسن

رؤى العالم : الفن والدين كنموذجين

. 1 .

بقلم : سمير الذهبي الجمل

وجدلية ومتطورة وتاريخية . فأنه لا يوجد فقط لذاته بل كذلك للآخرين وفي العالم . ولا يتحدد وجوده في حدود توفير الحاجة بل إلى إنتاجها وإعادة إنتاجها قطعاً مع الطبيعة وبناء للحضارة . بحيث ينتقل من الحاجة إلى الرغبة، من الضرورة إلى الحرية، من العيش في العالم إلى إنتاج تمثله . فليس العمل المادي يكافئ لتحقيق إنسانية الإنسان إن لم يقترن بالعمل الفكري بل هل يمكن تصور الأوك دون الثاني؟ .

فإن الإنسان قد أبدع في تاريخه تمثيلات مختلفة ورؤى متنوعة حول العالم لم تقف في حدود التصور والتأمل بل حددت مجال الفعل ، بحيث تنتقل من عالم الرمز إلى عالم التمثيل إلى عالم الفعل أو مجال الأخلاق والقيم . ولكن ماذا نعني برؤى العالم؟ وما مدى حاجة الإنسان إليها؟ وما هو الدور الذي تلعبه في حياة الإنسان؟ وكيف نفسر التنوع وإرادة السيطرة بين هذه الرؤى؟ وهل يمكن أن نطمح إلى رؤية كونية توحد حقيقة الإنسان وغاياته؟

لئن كان الإنسان تحكمه جملة من الغرائز والدوافع التي تشده إلى عالم الحيوان، فإنّ معاينة تاريخه الطويل من شأنه أن يكشف عن استحالة اختزال وجوده في حدود الطبيعي الغريزي : إنّه كائن الثقافة بامتياز فقد تشكّلت المجتمعات وتنوعت وأنتجت أنماطاً مختلفة من السلوك وأساليب العيش والتفكير . وإن كان التنوع الثقافي لا يحوّل دون الإقرار بوحدة الإنسانية ومصيرها المشترك وإمكانية لقاء الإنسان بالإنسان لقاء فاعل وخصباً ومبدعاً، فإنّ من شأنه أن يكشف عن حضور فعالية الإنسان لا باعتبارها كائناً تحركه الحاجة والضرورة بل بالأساس باعتباره كائن الحرية والفعل والتجاوز : تجاوز الكائن نحو ما يجب أن يكون، تجاوز المادي نحو الفكري والروحي، تجاوز الموجود نحو المنشود ... وبصرف النظر عن تعريفنا للإنسان وما يثيره من لبس ومن تعدد في الأبعاد وتناقض في التحديدات، فأنّه يجدر بنا أن نكشف عن حضوره المتجذّر في العالم وما يقيمه معه من علاقات متعدّدة

1. ماذا نعني برؤى العالم ؟

لقد مثلت رؤى العالم وسائط رمزية بين الإنسان والعالم تنقلنا من عالم الأشياء إلى عالم المعاني والرموز. من العالم الذي نعيشه إلى العالم الذي نتمثله ونفكر فيه. بل أكثر من ذلك لا تتفصل عملية إنتاج كل رؤى عن تحديد مكانة الإنسان ومعنى حياته وتوجيهها لفعله ووجوده وما لاشك فيه أن إنتاج الإنسان لرؤى حول العالم كان مرتبطا بوعيه بذاته وبما يحيط به. فلايكاد يخلو تاريخ الإنسانية من حضور دائم لهذه الرؤى، وإن اختلفت من حيث تواجدها ككثرة أو كوحدة، كترابط أو كتنافل، كتكامل أو كنفي متبادل من مجتمع لآخر ومن عصر لآخر.

بل إن هذه المنزلة تختلف بين الأفراد ومختلف مراحل حياتهم ووجودهم فيمكن أن تتعايش داخل نفس البنية الذهنية للفرد أو المجتمع أو العصر رؤى مختلفة ويمكن أن نقيم سلما تفضليا لها بالنظر إلى دورها بالنسبة للإنسان وبصرف النظر عن هذا التنوع وقيمتها ودلالاته فإن هذه الرؤى تفترض تشابها والتقاء سواء كنا إزاء السحر والأسطورة، الدين والفن أو كذلك العلم والفلسفة إلخ ويمكن أن نكشف على ثلاث مرتكزات تقوم عليها:

1. المنتج للرؤية أو الذات المتمثلة :

وهو عموما الإنسان إن الإنسان لا يقيم علاقة مباشرة مع العالم، فهو لا يعيش في

العالم في الحدود الطبيعي، بل يخلق ويبدع عالمه، كما يتمثله وكما يجسد إنسانيته ومادام الإنسان هو المنتج للتمثل فمن زاويته يجب أن نفهم هذه القيمة التي تلعبها كل رؤى يراها عليها. فلاشك أن الساحر هو الأدرى بأهمية الفعل السحري، سواء كان نافعا أو مؤذيا، وللمعتقد في الأسطورة أو الراوي لها معرفة بدلالة الأساطير وتفسيرها للكون وماتكشفه من حقائق جوهرية ومتعالية. ومايقوم به الفنان ومايجسده من واقع عبر آثاره الفنية لهو دليل على معنى يبلفه الفنان للآخرين ويقيم به تواصل مع العالم. كذلك الأمر بالنسبة للمؤمن في نظريته للكون ومايدركه من حضور المحدود لوجود الله وتقديس له. ولايختلف العالم أو الفيلسوف في تصوّر معنى معين للعالم وكشفا عن حقائقه الجوهرية. فالإنسان في كل ذلك هو المنتج للرؤية ولكنه المسؤول عن غط الشكل الذي تعبر عنه والواقع الذي تكشفه والحياة التي توجهها أو تراهن عليها.

2. موضوع الرؤية أو محتوى التمثيل :

عموما يتعلّق الأمر بتمثيل أو تصوّر العالم، سواء كان طبيعيا أو إنسانيا موجودا أو مفترضا، كائنات أو ماسيكون معقولا أو لا معقولا. فالعالم الذي تصوره الرؤى يختلف من حيث معالنه وبنيتة وغاياته ومكانة الإنسان فيه. فالعالم الذي تصوره الرؤى يختلف من رؤية لأخرى. فالعالم الذي يتعامل

معه الساحر أو الفنان ليس هو نفسه. والعالم الذي يفسره العالم والمؤمن ليس متماثلا. فالفنان قد يكشف لنا عن عالم الخيال والروعة عبر تمازج الألوان والأشكال والأصوات والكلمات وغيرها. لكن العالم يوفر لنا صورة موضوعية عن الطبيعة لاجال فيها لغايات ومقاصد، ولكن هل يمكن تصور عالم بلا مقدس أو قوى غيبية: قوى يمكن أن تلحق المضرة أو تحقق الخيرات للإنسان فلا المؤمن ولا الساحر ولا الفنان يتكلم عن نفس العالَم. إنه ثري بالمعنى والدلالة. فلكلّ عالَم ولكلّ عالَم مكانته ودوره في تفكير الإنسان وسلوكه.

فالعالم موضوع التمثل وكذلك مجال الفعل. إنه علامة على الحضور الفاعل للإنسان إنه عالَم يكتسحه الإنسان ويحدّد معالمه بناء على وعيه بذاته. فالعالم عوالم تتنوع أبعادها وكلّ نظرية تدركه وتفسره وتتواصل معه بطريقتها وغاياتها.

3. الرؤية أو التمثل :

إذا كان الإنسان يقيم تواسلا مع العالم فأنه يستخدم شتى الوسائل التعبيرية التي تكشف عن حضوره وعن درجة وعيه وقدرته على التمعين. فالرؤية حاجة ملازمة للفكر البشري وتستجيب لمطلب أساسي للدماغ البشري إذ تقدم تفسيراً موحداً ومنسجماً للعالم وللوقوع التي تتحكم فيه. وإذا كانت هذه الرؤية تختلف من حيث أشكالها وأساليب تعبيرها ومضامينها

. بل بالرغم من تغيير مكانتها من زاوية استجابتها لرهانات الواقع ومقتضيات الإنسان النظرية والعملية بحيث نجد رؤية تكاد تكون مندثرة اليوم مثل السحر والأسطورة ورؤية موعلة في القدم ولكنها مازالت محافظة على مكانتها ولو بصفة متغيرة. وهي الدين والفن غير أن رؤية أخرى قد ظهرت متأخرة نسبياً ولكنها أصبحت المرجع الأساسي لحضارتنا المعاصرة وهي الفلسفة ولكن خاصة العلم وماله من نفوذ على الفكر البشري. رغم هذا الاختلاف في المكانة لا يجب أن ننكر ما لهذه الرؤية من خصائص عامة تكشف على خصوصية الفكر البشري وكيفية تواصله مع ذاته ومع العالم ومن بينها :

* الرموزية :

إذا كانت اللغة تمثل ملكة الترميز بامتياز (بنفنيست) فإن استخدام الرمز لدى الإنسان لا يقف في حدود اللغة بل يستخدم الإنسان وسائط أخرى قد نترجمها باللغة وبغيرها من أشكال التواصل. ولكن هذه الرؤية التي ينتجها الإنسان تنقلنا من علاقة مباشرة وطبيعية آتية إلى علاقة رمزية أي من العالم في شئنيته إلى العالم كمعنى. فالرمز يكشف عن علاقة الدلالة والإحالة والقدرة على التعبير والإبداع لدى الإنسان. فكل رؤية لها رموزها الخاصة التي تصطبغ بها وتميزه وتكشف عن مواقع فرادتها ومجال تعبيرها. فلا يمكن أن

* **التقابل المنتج :**

فكل رؤية تقيم تقابلات عديدة بين عالمين بين مستويين، المحتوى والشكل أو المضمون والأسلوب. النظري / العلمي ، عالم مرئي / عالم لامرئي، عالم نعيشه/ عالم نتمثله. المقدس / الدنيوي، التمثل / العقل . ولكن هذا التقابل منتج على أساس عدم تصوّر أحد الطرفين دون الآخر بل العلاقة جدلية وفي تكامل دائم !

* **لا تشهر إلى العالم بل كذلك إلى الإنسان :** قد تكشف هذه الرؤى عن صورة العالم وكيفية وعي الإنسان به ولكن الحقيقة أن كل معرفة بالعالم ترتبط بتحديد مكانة الإنسان . فالعالم الذي يشكله الإنسان هو العالم الوحيد الذي يعترف به الإنسان بحق ويتواصل معه ، إنه العالم كما يريده الإنسان وكما ينشده ، إنه بجسد المشروع الإنساني ويؤرخ لتطوّر وعيه بوجوده ومكانته في الكون.

2. **مامدى حاجة الإنسان إلى رؤى العالم ؟**

لاشك أن منزلة الرؤى تختلف من مجتمع لآخر ومن عصر لآخر باعتبارها لا تنفصل عن وعي المجتمع بذاته ونظّم المعرفة والتواصل التي يقيمها مع العالم ، ولكن المكانة التي أصبحت عليها بعض الرؤى من شأنها أن تبشر فينا التساؤل حول أسباب هذا التراجع والاضمحلال التدريجي لبعض الرؤى وخاصة السحر والأسطورة في حين إن هنالك رؤى أخرى مازالت

تخلط بين الجمال الفني والجمال الطبيعي، بين المقدس والدنيوي، بين عالم الساحر وعالم العالم .

* **التفسير :**

كل رؤية تقدّم بطريقتها تفسيرها للعالم وللقوى التي تتحكّم فيه . فكلّ منها توقّر للدماغ تمثّلا موحّدا ومنسجما للعالم وكذلك تحديدا للقوى التي تتحكم فيه . بحيث تنتقل من العالم المرئي إلى العالم اللامرئي . فالتفسير الذي يختلف عن التفسير العلمي والتفسير الأسطوري مخالف للتفسير الفني . ولكن عملية التفسير تنقلنا من الكثرة والتنوع إلى الحث عن المبدأ المفسّر . سواء كان إجابة سحرية أو قوى رّيانية أو قوانين علمية .

* **نتاج المخيلة :**

كلّ الرؤى من إنتاج المخيلة ولا يعني ذلك أنها واهمة أو خاطئة أو مشكوك في قدرتها على التعبير ولكن ما تنتجه المخيلة يكشف عن الطابع الإبداعي والخلّاق للرؤى بصرف النظر عن مدى معقوليتها باعتبار أن الرؤى لا تستجيب ضرورة لمقتضيات عقلية بل تمتدّ إلى مختلف أبعاد التجربة الإنسانية : الشعورية واللاشعورية ، العقلية والخيالية ، الواقعية واللاواقعية وعموما فكلّ رؤية تعتبر نفسها قادرة على تفسير المرئي من خلال تصوّر عالم أول هو بمثابة المصدر والأساس لكل تفسير ولكل معنى .

أساسيين ، عالم المقدس وهو الذي يتضمن سمات الإله وكل ماهو مقدس سواء ارتبط بفكرة الآلهة أو الأرواح أوتحتى الأشياء كصخرة أو شجرة أو حيوان ، أو نهر أو أي شيء قابل لأن يكون مقدسا . وعالم ماهو دنيوي وهو الذي يعتقد لكل ماهو قدسي فهو خلو من كل قوة وليس له تأثير ولايجب التسعلق به . بل السعي إلى إجتنايه والترفع عنه غير أن وجود الدين واستمراره يقتنر بوجود المؤمن واعتقاده فيه . فالمؤمن هو شرط إستمرار المقدس ووجوده باعترافه به وإقامته الشعائر كاثبات لمكانته في الكون . فلا وجود للمقدس إلا بماهو موضوع للتمثل ، بما هو فكرة متعالية ، بما هو حياة ، بل أصل كل حياة ، بما هو قوة تتعالى على كل قوة يتمثلها المؤمن ويتقرب منها من خلال الإعتراف بالطقوس . فالمقدس يعتبرالمبدأ المفسر لكل ما يحدث في الكون فهو مصدر المحن والنعكات وهو كذلك موفر الخيرات والنعيم.

والمؤمن يعترف بهذه القوة ويقيم علاقة خضوع وتبعية لها بما هي رمز للإغراء والتجاعة . فالمقدس حاضر في كل مكان وهو محدّد أساسي لماهية الرؤية الدينية باعتبار أن العلاقة التي يقيمها الإنسان مع المقدس علاقة تبعية وخضوع يعبر بمقتضاها الإنسان على المطلق والتعالي وسعيه للتعبير عن معتقده واعترافه بهذه القوة . وإن كانت الرؤية الدينية تقدّم تفسيراً مخصوصاً للعالم يعتمد على مرجعية

تصارع من أجل إثبات مكانتها مثل الدين والفن في حين تسعى رؤى أخرى للهيمنة على سواها مثل العلم والفلسفة بدعوى أنها الناقطة باسم الحقيقة والعقل والفعل

أ. الرؤية الدينية من حيث ماهيتها ووظيفتها:

يفترض الدين في البداية وجود معتقد أي جملة الأفكار والتصورات التي ترجع وجود الكون وكل مايتضمنه إلى قوى غيبية (إله أو آلهة وهومايمثل الجانب النظري للدين ويوازي ذلك مجال الطقوس وهو البعد العملي للدين) ويتجلى في جملة للممارسات الدينية التي يقوم بها المؤمن تقريباً للاله وتعود كلمة دين إلى اللفظ اللاتيني رابط ، جمع فالدين هو رابطة تجمع البشر لذلك لاجود للدين بغير جماعة رغم أن ممارسته قد تكون فردية . فالمجتمعات منذ القديم قد اعتقدت في وجود قوى غيبية تحكم في مصير البشر ويجب طاعتها والتقرب إليها من خلال شتى القرايين والطقوس وبصرف النظر عن طبيعة تمثّلنا للإله ووجوده أو عدم وجوده فان قيمته ليست فقط أنطولوجية بل كذلك أخلاقية وقيمية يقول فولتير : «إذا كان الله غير موجود فيجب أن نبتدعه» باعتبار أنه : «إذا كان الله غير موجود فكل شيء مباح» [دوستوفسكي]

ويعيدا عن طبيعة تصوّرنا لجوهر الدين فهو يعتمد على تفسير العالم إلى قسمين

ويعتبر النظر عن علاقة الدين بالفلسفة هل هي علاقة تواصل وتوافق أم علاقة تقابل وصراع . فمشكل المطلق والمصير وعديد القضايا التي يطرحها الدين قد مثلت ومازالت تمثل قضايا فلسفية هامة بالنسبة للإنسان فالتجربة الدينية لاتنفصل بالتالي عن التجربة الإنسانية في كليتها وهو ما يدعونا إلى التفكير فيها على جهة علاقتها بالإنسان سواء كان فردا أو مجتمعا فقد كتب برقسون : **«لقد وجدت مجتمعات بدون علم أو فلسفة ولكن لم توجد مجتمعات بدون دين»** . ألبعد ذلك دليلا واضحا على إرتباط التجربة الدينية بالمجتمع والحضارة الإنسانية؟

لقد أكد دوركايم ومن قبله هيجل على ما يلعبه الدين من دور في التعبير عن المجتمع ونمط نمثله وتفكيره كتجربة باطنية ، كروح موضوعي فلا ينشغل دوركايم برموز الدين التي يلتحق بها بل يركز على ماهو خالد وأزلي في الدين أي ما يضمن استمراره في حياة الجماعة وهو توفيره من الحاجة الجماعية في وجود تصورات ومشاعر جماعية يربطها في فترات منتظمة وهي التي تصنع وحدته . فالدين مواكب لحركة المجتمع وتطوره ومن هنا لا يمكن أن نميز بين الظواهر الدينية والظواهر الاجتماعية الأخرى . فهناك قائل بين الاحتفالات الدينية والاحتفالات الوطنية باعتبار أنهما يشتركان في الطبيعة والنتائج

الله فإن العلم رغم نقده للنظام التفسيري في الدين فهذا لم يؤد إلى إقصائه وهذا ما يقودنا إلى القول بأن قيمة الرؤية الدينية لا تقاس بمدى حقيقة تفسيرها وتماسكها (لأنها في كل الحالات نتاج المخيلة) بل يتعلق الأمر ببيان قيمتها من زاوية الحضور الذي تمارسه في حياة الإنسان . لقد أكد باسكال من قبل على شقاء الإنسان بدون إله **«فأمام عظمة الطبيعة لا بد أن نفترض وجود قوة عظيمة تسيطر الكون»** . فباسكال يقيم رهانا وهو الاعتقاد بوجود إله لما يجنيه من منافع . فإذا كان موجودا فاني جنيت شيئا وإن لم يكن موجودا فاني لم أخسر شيئا .

إن البحث عن أصل الدين ومدى حاجة الإنسان إليه قد يمتد بجذوره إلى الفلسفة القديمة فقد بين لوكراس أن الإنسان محتاج إلى التقوى والورع ولا يتعلق الأمر في التدين بمجرد القيام بطقوس وتقديم قربان قربان بل يتعلق الأمر بوعي الإنسان بمكانة الدين وما يثيره في نفوس البشر من رعب أو خوف . وتطور الدين يجب أن نسير وفق وعي الإنسان بوجوده وارتقائه في سلم الأخلاقية والتأمل في الطبيعة كرمز للتسجيم والقوة العظيمة ، وإذا كان بعض الفلاسفة قد حاولوا أن يعقلنوا الفكر الديني أو يدمجوا العقل الفلسفي بالعقل الديني فإن البعض الآخر قد أكدوا على اختلاف كل موضوع من حيث طبيعته وغاياته

والأساليب.إنهما يعبران عن الوحدة الاجتماعية وإذا كنا نشهد اليوم تراجعاً لمكانة الدين وصعوبة لتمثل مستقبله فذلك لأننا نمر مرحلة انتقالية يعترها الفتح الأخلاقي فبعد أن كان هو المهيمن على العلم (سلطة رجال الدين) أصبح العلم بفضل نجاعة تفسيره ونتائجه قادراً على نقد الدين ومراجعته، وبين إستحالة تقبل العقل المحدود لتفسيرات مطلقة ونهائية وثابتة ومن خلال تركيز العقل في حدود التجربة وفي حدود الحقيقة الموضوعية . غير أن قيمة الدين لاتقاس بمدى توافقه مع الواقع إذ يمكن أن تتغير هذه المعتقدات وأن ننشئ أشكالاً جديدة من المشاعر الجماعية فالبعد الأساسي للدين

لايكن فيما يقدمه من تفسير بل في بعده الاجتماعي وفي قدرته على توحيد الأفراد على نفس المعتقد والتقاليد والعادات. فالدين له حضور باعتباره أحد مكونات المجتمع وتميزه عما سواه. ولكن قيمة الدين لاتقف في حدود الجانب التفسيري أو الاجتماعي بل كذلك في حياة الفرد وتوجيه سلوكه وتحديد شخصيته . فقد بين فرويد في كتابه «الطوطم والمحرم» على الأصل البدائي لظاهرة التدين . فكل قبيلة لها طوطمها أو الأب الروحي حامي القبيلة وأصلها . فالتدين هو وريث عقدة أوديب. فعلمية قتل الأب كشيء محرم قد أدت إلى شعور الأبناء بالذنب وهذا ما أدى إلى تقديم الطوطم كرمز للأب، للقبيلة، للمحرم .

فالحاجة إلى المعتقد هي حاجة نفسية عميقة تتجاوز حدود الرغبة إلى آلية إعلتها إلى مستوى ماهو أخلاقي وسامي في الحياة الإنسانية . فظاهرة الدين توفر للإنسان الطمأنينة والراحة النفسية . فهو يجيب عن سؤال الهدف من الحياة الإنسانية فله سلطة عميقة على مشاعر الإنسان وانفعالاته «إن الدين قوة هائلة تتحكم كيف ما شئت بأقوى انفعالات الناس، ومعلوم أن نطاق الدين كان يشمل في الماضي كل ما يلعب دوراً، من وجهة النظر الروحية، في الحياة البشرية، وكان الدين يحتل مكان العلم في عصر ما كان فيه لهذا الأخير من وجود فعلي» ويختصر فرويد في كتابه «محاضرات جديدة في التحليل النفسي» الوظيفة الثلاثية للدين :

- 1 - يلبي الدين مثل العلم فضول الإنسان وحب الاطلاع لديه (مجال صراع مع العلم)
- 2 - يبدد مخاوف الإنسان من أخطار الحياة وصروها، ويمنح الإنسان بعض العزاء في المحن (الدين له تأثير لا يستطيع أن ينافس فيه العلم)
- 3 - الدين يصوغ تعاليم ويفرض قيوداً ومحظورات (تباعد الشقة أكثر بينه وبين العلم في توجيه الحياة)

فرويد يقر بأن الدين «وهم» ويمثل إشباعاً خيالياً لرغبات الإنسان ورغم نقده له فإنه يكشف عن دوره ومدى حاجة الإنسان وتوقه

الفلسفة ، بل هو الدين » فهل يكفي العقل للإجابة عن كل الأسئلة التي يطرحها الإنسان وهل نحتاج إلى إيمان بشكل ما ؟ ألا يتحوّل الاعتقاد إلى أداة لاغتراب الإنسان ؟ فالشكل يتعلق لا ببنية الدين ورموزه بل وحتى نموذج الأخلاقي وبعده الروحي بل بعدى قيمته في تحرير الانسان ووعيه بذاته وتحقيق غاياته على الوجه الأكمل إنه يستجيب لغايات معينة يراهن عليها الإنسان وترتبط شعور أصيل لدى الإنسان يستجيب لحاجة الإنسان للتفسير الشامل والتوجه الغائي والسمو في مراتب الإنسانية . إذ لعل صورة الإله مواتية لما يتصوره الإنسان ولما ينشده ، كما يريد وكما يحلم به ، بحيث يمثل الله نموذجاً لكل ذات تريد أن تكتمل في سلم الإنسانية والحلقية والغايات القصوى . وهذا ما يجعل جذور الدين لا تمتد في أعماق الذات فقط بل بالأساس في أعماق المجتمع وقواعده الأخلاقية بأوامرها ونواهيها يتصورها كما هو كائن وكما ينبغي أن يكون .

يتبع

إليه خاصّة في ظل حضارة تقوم على قمع الغرائز ولا تبقي غير آلام وقلق متواصل للإنسان . لكن التصور المادي لدى ماركس وانتقل يقوم على نقد جذري للدين وبيان وظيفته الايديولوجية السالبة باعتباره لا يغدو أن يكون « أفين الشعوب » فقد صنع الإنسان الدين وعوض أن يمثل وسيلة لوعي الإنسان بالواقع وأداة لتحرره مثل عبر التاريخ وسيلة تستخدمها الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج لمزيد تكريس سيطرتها على الضعفاء . إنه علامة على أخلاق العبيد بتعبير نيتشه ولا يجب أن يخضع الإنسان للتعالي بل يجب أن نقر بأن الإله قد مات (نيتشه) أو بتعبير سارتر كان يحدثنا ثم صمت ، فلم يعد في وسعنا الآن سوى أن نلمس منه جثة هامدة . لاشك أن توجه سارتر وغيره من فلاسفة العصر الراهن يكشف عن تراجع منزلة الدين في حياتنا اليوم أمام طغيان البعد المادي على حساب الجانب الروحي، المنفعة والفردانية على الأخلاق ونكران الذات . فهل بحق أن نقول مع شوبنهاور « إن الفلسفة لا تهتم بدراسة شيء آخر سوى العالم ، وهي إذا كانت قد تركت الآلهة وشأنهم ، فأنها لا ترجو من الآلهة سوى أن يدعها أمضاهي وشأنها » أم يجب أن نوّكد على ضرورة وأهمية الدين في حياة الإنسان كما يقول تولستوي : « إنني أعتقد أن ما يفسر علاقة الإنسان بالكون ليس هو العلم ولا

بنية الوعي الطبقي

في الصورتين الواقعية والحلمية

بقلم : أسامة غانم
- العراق -

وتحدث في السرد عمليتين متداخلتين في آن واحد، هي تفكيك النص، وهو في طريق التشكيل والتكامل التام، رغم بقاء البنية التفكيكية محايدة فيه، مع الانتقال من سيطرة البنية القديمة إلى سيطرة البنية الجديدة التي هي (تحديدا ما يدعوه الفكر الجدلي الانتقال من الكم إلى الكيف) (2).

ويعمل الوعي الطبقي - أي وعي المؤلف الطبقي - على التقاء الذات، وفهمه لهذه الذات، وفهم العامل المحيط به فهما شاملا، لاسقاط الوعي المزيف، والابتعاد عن ظاهرة التشيؤ، وفضح الممارسات اللاعقلانية في المجتمع، التي تتسم بالوحشية والعنف أثناء الصراع المحتمي بين الأضداد، والتركيز على العلاقات المختلفة داخل كلية اقتصادية موضوعية التي هي الوعي الطبقي، والخروج من دائرة الخرافة، وعدم رسم شخصيات خارقة لأن (الإنسان الفردي المأخوذ كقياس لكل الأشياء، يقود بالضرورة إلى تيه الخرافة هذا) (3)، وترسيخ المفارقة وتعميقها في بنية النص،

الحلم الشفاف يتداخل بالواقع المرعب في المجموعة القصصية لـ أحمد محمد أمين (طائر الليل) بشكل مذهل ورائع، حيث لا يعطي أية فرصة أو مجال للتوقف من أجل التفكير بفصلهما أو العثور على نقاط الالتحام بينهما، لأن التداخل القصدي ألقى جميع الحدود فيما بينهما، وليصبح قطعة فنية متكاملة، يتسم بجمالية فائقة، لا يستطيع المتلقي اختراقها، لكنه يستطيع تأسيس جدلية تأويلية عليها، وليشكل القاعدة السردية الأساسية لها، لأن السرد يتألف من دلالات، والكلمات فيه ليست أشياء، بل دلالات أشياء، مع دفع المتلقي إلى العيش في الداخل، ليندمج بالنص، مما يجعل من الحلم والواقع هما المادة التي يبنى عليها السرد ولا يمكن (إدراك خصوصية مؤلف ما، من خلال الملامح الأسلوبية النصية، وإنما من خلال تنظيم المادة السردية) (1)، بمعنى استيعاب المعنى والقصد المتواجدين في النص، واختراق الكلمات التي تربط المعنى بالشفرات.

نفسه بضمير المتكلم في ستة عشر نصاً،
وبضمير الغائب في نصين (خارج الدائرة .
المعطف) .

وفي نصين يبرز فيهما التأثير الفوكزي
بصورة واضحة (رجل من أقصى المدينة) و(مملكة
السراب) .

يبلغ أحمد محمد أمين في قصة (الموت
الجميل) الذروة في تحقيق وظيفة الوعي الفريدة
ألا وهي الوحدة بين النظرية والممارسة ، بين
الحلم والواقع ، ويكون الموت والحياة ، الفناء
والخلود ، والوهم والحقيقة هو المعادل الموضوعي
لها . ويكون (الموت في نظر القتل هو النهاية ..
وفي نظر صاحب القضية هو البدء ..)

ص102 ، في البدء كانت الكلمة ، كان الإنسان
.. إن البدء هو الحياة بالنسبة للإنسان المؤمن
بقضية ، وما بين الكلمة والإنسان الفعل الذي
يرتعب منه القتل ، ويعتقدون بأن موت الإنسان
هو موت القضية ، هكذا ينسج لهم وعيهم
الكاذب ، فإن الحقيقة مع ذرات الشمس
الذهبية خالدة ، والصور التي تشكل منها هذه
القصة تعبيريّة ، فهي تنتقل من المألوف إلى
اللامألوف ، ولتجمع في آن بين النور والظلام .

يختلف بطل أحمد محمد أمين في (الموت
الجميل) عن بطل كافكا في رواية (القضية) ،
فجوزيف ك لا يعرف لماذا يعتقل أو يحاكم
ويعدم ؟ فيبقى من نومه ليوواجه اتهاما لا يعرفه

لتعمل على تأسيس بنية جمالية ، ومعه ينشأ
وعى مواز عند المتلقي بأن النص الذي يقرأه
إنما هو ملك لفاعل آخر ، ولكنه يشعر كأنه
ملك له ، هنا يتحقق التواصل عبر طريق
الحرية ، والمشاركة .

وتعتبر نصوص هذه المجموعة مغامرة
رحلة إلى حافة الممكن ، مغامرة محاولة تجاوز
النص ذاته ، لخلق صلات حميمة مع المجتمع ،
وهذه المغامرة ينتهي بها إلى البحث عن
الإنسان الممكن ، لخلق توازن بين الحلم والواقع ،
اللذين يكونان أساس الرؤية الطبقيّة في
النص ، وإدانة صامتة جذرية للوضع اللإنساني
لأن هكذا نصوص تمتلك وظيفة نقدية حادة .

ومعظم نصوص المجموعة تشترك في
وحدات معينة متسقة مع بعضها من خلال :
* وحدة المسار الغرائبي .

* وحدة البيئة الاجتماعية للشخصية .

* وحدة بنية الوعي الطبقي وتجذره .

* وحدة الحسّ الإنساني تجاه العالم .

* وحدة النهايات المفتوحة .

إن وحدات هذه المجموعة (طائر الليل)

تجعل النصوص متماثلة ومتقاطعة ومتداخلة ،
انبثق من سيناريو الحلم وسيناريو الواقع .

وإن شخصية الراوي هي المهيمنة
والمسيطرة ، بمواقفها وسلوكها وتفكيرها
وأفعالها ورؤيتها للعالم ، ويقص الراوي عن

والقصّة شفاة عميقة تمتلك مقومات البنية الجمالية، المستندة على ساحة النصّ كلّ، وتندفّق جمالا عندما يسوقه للموت، وهو ينو، تحت ثقل أغلاله، وهذا المشهد سيكرر كل لحظة في العالم، وخاصة في الدول النامية، مادام يوجد ثمة قوى ظلامية مستبدّة ومسيطرة بآلياتها (ومادام العالم المقلوب لا يزال هو العالم الفعلي) (8)، وتزدحم بالصور الشعريّة في السرد، وتصل ذروتها قبل الإعدام ويعدّه، وهو متوحّد بالطبيعة، وجزء منها ومن العالم عن طريق خمسة ثقوب في جسده، وسأقتطف المقطع الذي يصرّ هذا، لكي أبين مدى عمق ايمانها بأنه يجب أن نمتلك هدفاً نغوت من أجله إذا كان ذلك ضرورياً، وأتنا على استعداد دائم لسرقة النار الازلية مثل بروميشيوس ... لمنحها ... :

لكنّ لحظتُ أنظر إلى الشمس التي ولدت توا .. ودوى في الفضاء انفجار .. اخترم صفاء الصباح .. هز أركانها .. انطلقت خمس رصاصات من خمس بنادق .. فتحت في صدري خمس زهرات حمراء ، خمسة ثقوب أرجوانية .. وأحسست بعدة وخزات تخترق صدري .. اندفعت بقوة إلى الورا .. وسقطت .. لم أشعر بالألم .. ربما جرح بسيط أكثر إبلا من هذه الرصاصات القاتلة .. كنت لم أزل أرى كلّ شيء بوضوح .. وجوه القتلة ، نظراتهم ،

من محكمة مجهولة تطالبه بالشول بين يديها والدفاع عن نفسه . أما بطل أمين فيعرف لماذا يعتقل ويحاكم ويعدم ؟ ويساق إلى ساحة الاعدام بمحض إرادته . لأنه اختار أن يكون . ! ولم (أحفل بالموت أبدا ، فعندما ما قررت تحمل المسؤولية اعتبرته قدرا لا بدّ منه ، يأتي أيما لحظة) ص 99 ، فهو يعرف ويرفض ، وقضيّة إدانة قوى الظلام وهذا (بيان الظلم) ص 103 .. (قلاع القتلة) ص 103 ، وماموته إلا (محاولة لاضفاء معنى للحياة) (4)، معنى يرتبط جذريا بالحرية ، وتحمل مسؤوليّة ذاته ومسؤولية الآخرين ، انه الاختيار الانساني الصعب في الزمن الصعب .

أما جوزيف ك، فيساق قسرا إلى الاعدام . ولا يعرف ولا يرفض ولا يضيف شيئا لأن الحياة والعالم عنده (ساحة أنقاض لامعنى لها) (5) وعدم الثقة والريبة واليأس القاسي من الانسان (6) ، فالعالم التاريخي عنده يبصر من نقطة خارج التاريخ، لأن لديه شعور بأنه ملقى في العالم تحت سيطرة قوة غيبية وتحت سلطتها ، إنها قوة شموليّة مجهولة .

لكنّ الاثنين يلتقيان في نقد (الحياة البروجوازية أولاً من حيث كونها مطبوعة بالتجريد والانقسام والتمزّق) (7)، مع فضح استلاب الانسان، وتصيد التحدي والإدانة . بطل كافكا يتخذ الموقف السلبي في المواجهة

ألم تكن تحداني باستمرار) ص 64 . كل ذلك لتشكيل صور غرائبية هي في الحقيقة من صميم الحياة الاجتماعية - السياسية - التاريخية : (أنت قروي جشتنا من عالم بعيد آسن) ص 68 ، نظرة طبقية كشيعة لاحتاج إلى التفسير والتحليل ، انه مجتمع طبقي ، والاختلاف والتباين بين الطبقتين ظاهر .

يقول جورج لوكاتش (إن الصراع الاجتماعي ينعكس في صراع إيديولوجي بالنسبة للعوي لكشف القناع أو لإخفاء طابع المجتمع الطبقي) (9) ، وإمكانية هذا الصراع تبرز من خلال تناقضاته المحتدمة ، مع عدم ظهور الصراع ظاهريا أحيانا .

إنها قصة شاب بطارد حببته في ذهنه عبر الحلم . وخارج حدود الواقع ، ولكن الأخت تغلق عليه كل المنافذ والمسارب التي تؤدي إليها ، وتمنعه من الانتماء إلى عالم غير عالمه ، فأنهما في عالمين متناقضين لا يلتقيان أبدا) ص 69 ، وتحرق سفنه ، وتسرق بوصلته ، ويتيه بين أمواج الوهم الواقع .

لا تقوت مرسيدس في مائة عام من العزلة ، بل تطير إلى السماء من بين الملاءات البيضاء ، أما في مملكة السراب ، فتقفز الأختان من أعالي البرج إلى الأسفل بعباءتيهما السوداوين ، وتخلف الحبيبة الهاربة زهرة قرنفل حمراء مع الشيخ ليعطيها له للذكرى ، فالتقاط

فوهات البنادق التي انهمرت منها الرصاصات . الأصابع التي ضغطت على الزناد .. والسماء الزرقاء ، قرص الشمس الذي أصبح أكثر سطوعا .. الشجرة الباسقة .. السور البعيد الوقور . البوابة العالية .. والجبال النائية المرمية على حافة الأفق .. عندما هربت اختلطت الأزهار الخمس ببعضها .. صارت زهرة واحدة كبيرة غطت صدري كله [ص 101 . 102 هذا المقتطف يلزماني أن أتأمله مجتمعة في مجاله التعبيري ، وتواتر التناغم الطاغوي بين الأنا - المتحركة - والطبيعة ، بين الذات والعالم قبل الموت وبعده ، والقصة وإن كانت تعبر عن رؤية خاصة تجاه العالم ، فإنها تصوغ حدود هذه الرؤية والقيم الانسانية التي ينبغي التضحية بها لأجل الدفاع عنها ، للوصول من خلالها إلى الحرية ، إلى الحقيقة .

في قصّة مملكة السراب يأخذ التجسيد الغريغاسي مداه إلى الحدّ الأسطوري : (فماسترعى انتباهي مرأى بيكاسو .. فتع عينيه ، أمطرني بوابل من نظراته الوداعة .. لم يكن مجرد صورة) ص 62 ، مع اضافة لمسات سحرية : (الا أنني رأيت ثقباً في السقف يسقط فوق المكتبة خيط من الضوء يبدو كسيف رفيع .. وترامى إلى صوت .. صوت أختها الإغواناني حاداً شرساً متعالياً : لقد خرجنا من الثقب .. حاول أن تتبعنا .

ثالوثه الذي يحمله كل يوم على جسده المتعب، ليمارس طقوسه في عالمه المتوحد معه، وزمنه الذي صار (هامشا سخيفا بلا معنى) ص 47، من هذه الأشياء يتكوّن عالم محمد الحمال، بمعنى دائرته وخارجها بالنسبة له تابو، لا يستطيع الوصول إليه إلا عن طريق الحلم.

ولقد اعتاد محمد الحمال، أن ينام قليلا قبل القيام بتنظيف الارضية والاحواض وإزالة الاوساخ والممرات الصغيرة) ص 43، ومابين النوم / الغفوة، والتنظيف، لحظات انزياح عن الواقع، واقعه الحقيقي، لحظات تأسيس نص مواز للنص الأصلي متداخل معه في فضاء واحد، كفضاءات ألف ليلة وليلة وعلى ضوء ذلك تكون الباترة هي النص الأصلي وخارجها النص الموازي ومركزهما محمد الحمال.

ونعثر على دلالة رمزية عميقة في النص، ترسخ الرؤية الطبقيّة لدى الراوي، ولدى البطل عند عشوره عند التنظيف على قشور الفواكه (ان ارضية الحمام والممرات المائية كانت مليئة بالوغف وقشور البرتقال والتفاح والموز) ص 48، ويأتي مشهد تبذير الماء من (قبلهم)، ويرمز الماء إلى الحياة، وقد ورد في الأساطير البابلية قصة التكوين، وكيفية ولادة الالهة من امتزاج المياه (10)، وهذه إشارة واضحة إلى عدم اهتمامهم بحياة الآخرين (يبدرونه كيفما يشاؤون) ص 46، وحتى وهو في خارج الدائرة

الاجتماعي عميق وتناقضاته مختفية، ولكنه يشكل صورة حقيقية وراء الصورة السحرية .
لو درسنا بناء قصة عن مملكة السراب، فسنجد أنفسنا إزاء عالم قصصي حديث، لن نجد قصصيا متطورا، وإنما نجد مجموعة كبيرة من المراحل المتوازية المتقابلة، دون أن نبين النهاية، إذ أننا لاتعرف في النهاية إلى أين ينتهي المطاف بالشاب القروي، فكل شيء خاضع للاحتمال والتأويل، ومستمد من الذاكرة المتداخلة مع حلم اليقظة .

وتشكل قصة خارج الدائرة، انعطافة كبيرة في المجموعة، في توظيف الحلم والخرافة، في مسار السرد القصصي لاستخلاص بنية دلالية، عاكسة الصراع الاقتصادي والاجتماعي. النفسي فيها (الكشف القناع).

وعند قراءتنا للاستهلال، قراءة تأويلية، قمنا دلالة مبطنة عن عالم محمد الحمال. الشخصية الوحيدة والمحورية والمركز الدلالي في القصة - (ليل اشبه بالكابوس، ظلمات فوق ظلمات. وساء تتكدس بالغميم .. ويرد يقطع العظام) ص 42 . فوق الظلام المكثف، تضيف السماء ظلاما مضافا، لأن الغيم يتكدس فيها، فعالم محمد الحمال ندخله من خلال هذه الظلمات المتعددة لتكتشف لنا بأنه (كان وحده في هذا الكون الفسيح) ص 44، وانه موشوم بالظلام والوحدة والفقر،

(= التابو) لا يحق له أن يشاركهم في أي فعل، فقط الرؤية، رؤية الغرباء (أنه ليس منا، ليس من عشيرتنا) ص 47، فالمقصود هنا بالعشيرة، الطبقة.

وفي الليلة الثانية، تخرج كائنات محمد الحمال الليلية، هذه المرة نساء فقط ويحترق بنار الرؤية، وتقعي فحولته جانب الباب بالقرب منهن، وهي لاثير انتباههن، والملفت للنظر أن محمد الحمال لا يمتلك وعيا طبقيا، كما الذي يمتلكه الراوي، فلقد مسخته الحياة الروتينية إلى بومة ليلية لا ترى إلا الصور الخلمية في الظلام رغم أنه ينتمي إلى عائلته انتما تاما، وأنه عامل أصيل.

يكون السرد في قصة طائر الليل، مغاوطا مع الذاكرة الموهلة في عمق الطفولة لبتخذ طابع الحوارية الصامتة مع الطائر، ولبناء علاقة حميمة امتدت زهاء أربعين عاما معه، والقص كله عن طائر (من نواع الغربان يسمونه: «ططوة») ص 16، وتستل القصص تفاصيلها من جعبة الذاكرة المغمسة بالحلم.

لم تتغير أبدا، وبقي نشيده لأجمل من أحزان وتدايعات مالك ابن الرب، معه يخترق الأزمنة، يخترق جوهر الأشياء، معه يهاجر نحو الأحلام القصية، الأحلام المستحيلة، ومعه يستوطن مدنا بعيدة لم يسمع عنها إلا في الكتب، ثم يعود من المغامرة - الحلم ليحط في

واقعه، ليعيش مع هموم ومشاكل ناسه.

وعندما يقول (بدون الحرية لا يبقى منه شيء) ص 15 هذه إشارة جلية أنه عندما تسلب الحرية من الإنسان يتحوّل إلى أشلاء، مقهورة، مقموعة، مستلبة، وتكون جميلة حين (تتمتع بالحرية) ص 15 وتغلاّ الوجود بوجودها، فطائر الليل رمز تعبيرى عن حرية الإنسان وعدم رميه (داخل قفص، سجيناً حتى الموت) ص 14 وهذه المقتطفات تبين مدى تعلق الرمز بالحرية أو قل هو الحرية.

وعند إعادة بناء صورة تمثي الشخصية الرئيسية في القصة، أن يشتركا هو والطائر / الحرية بفعل الحلم (نحلم حلما واحدا) ص 7، يتحقق المعنى في التكامل لانبثاق الصورة الحقيقية في النص ألا وهي: إنسان - حرية - حلم.

وعند قيامنا بترتيب هذه المفردات تتعمق الصورة أكثر ونعثر على دلالة النص الرمزية: حلم الإنسان الحرية.

والمرأة عند القاص كائن رائع، لا يصورها بأي سوء، رومانسية إلى حد الصوفية أنثى بالمعنى الكامل، فهي الشفافة، الرقيقة، الحبيبة الناعمة، النقية، فليست فيها صفة ذميمة (خائنة - مومس - شريرة - شبيقة..) وأحيانا تجمع الصفتين أنثى ورمز في آن لمنحها دلالة إنسانية عميقة إنها المرأة - الحلم (امرأة

(امرأة ممثلة ذات جسد بلون النحاس، ووجه مدور يحمل عينيّن تومضان بالائق والسحر) ص 199 .. تاتين في الغيش .. في رائحة السماء . مضمخة بلون النحاس .. بهينة مثل عرائس البحر .. تعودين في الحلم أو الحقيقة .. أيتها المقدسة .. المجبولة من عطر طفولتي الفقيرة ص 207 .

وإنّ عالم المرأة بما يحويه من دلالات لدى القاض، يشارك في تكوين النص، وتفجير فضاءاته في اللامحدود واختراق البنية النصّية الشاملة لاستخراج معاني مشفرة ذات دلالة متضمنة للحالات الاجتماعية . الاقتصادية . السياسية . التاريخية، التي يشكل (اختلاطها وتداخلها الواقع التجريبي) (11)

حرائق الدنيا) ص 20، وهي تدخل في البنية القهر الاجتماعي: (مطلقة منذ ثلاث سنوات .. لم استطع أن أنجب له أولادا) ص 19.

1 - حلمية الحلم
2 - أغلبية أبطاله مثقفون :

المجموعة بشكل عام كلّها تتسم برؤى حلمية ضاعّة، وبالرغم من وظيفة الحلم في تكوين بنية الصورة الحلمية الممتزجة في بنية الصورة الواقعية، فإن له وظيفة مستقلة ثانية أهم وأخطر هي تحقيق حلم الحلم (احلام داخل احلام) ص 29، وهي منتشرة في المجموعة ومبعثرة ولاتشكل بنية متكاملة إلا بعد تحليل

تخطر في الحلم ولاتخرج عن دائرته) ص 75.
والمرأة تعطي قذارة العالم وطبيعتها، جمالية أسطورية : (من نهر تزدهم جوانبه بالبردي والعوسج .. أو من مستنقع ذي مياه محاطة بالأحراش خرجت عارية تماما .. امرأة ناضجة ذات بشرة نحاسية .. وشعر فاحم) ص 74 العري هنا متكوّن من موج النهر، وضوء القمر، وأريج الزنابق ، وعلى أنها غير مدنّسة، بلا خطيئة، لولاها لفرق العالم بالقذارة ، لكنها هي النقاء المولد منها، هي تعطي للأشياء وميضها، هي تمنح العالم نكهة خاصة، انها زنبقة لامتوت .

وتشير فيه المشاعر المتوهجة المتدفقة لحافات الجنون (وقد اشعل هذا الحيوان فيه حرائق الدنيا) ص 20، وهي تدخل في البنية القهر الاجتماعي: (مطلقة منذ ثلاث سنوات .. لم استطع أن أنجب له أولادا) ص 19.

وأنها مخلوقة من (الأرج وزيد البحر) ص 183، ويصل الحد بابطاله مواجهة الموت للملاقة الحبيبة، من أجل رؤيتها فقط، علاقة حبّ عذري أو رومانسية - جنسية (أقسم بالله أنني لم أفسد بسوء، ولا نوّنت شرف علاقتنا الطاهرة) ص 183 صورة من صور فرسان القرون الوسطى .

وفي نافذة بعيدة تختزل نساء أحمد أمين في وجه وجسد واحد، لامرأة واحدة في ناهدة :

ص 33 فالفقاعة تتكوّن من الماء والصابون، هكذا يتكوّن حلم الحلم من حلم وواقع، ليتلاشى في اللحظة التي يتكوّن فيها، تشبيه فيه دلالة، فإنّ الفقاعة تتلاشى فعلياً، أمّا حلم الحلم فينجرف إلى تخوم الأسطورة .

أمّا المحور الثاني، فيكون أغلب أبطال قصصه من فئة المشقف / الموظف كما في (طائر الليل - رجل من أقصى المدينة - المعطف - مملكة السراب - المشاكس - بيان للطهر - السوق) أو المشقف الثوري (الموت الجميل) أو مشقف متجسّد في صورة دبّ، ليبين عدم استطاعة المشقف التفاهم مع الآخرين، مع ادانة المجتمع والمؤسسات، قصة (المشاكس) أو مشقف يعود من الهند بشهادة الفلسفة (الانتظار) ليتحد بالمطلق، تاركاً العالم والحياة وراءه، إنهم من صميم الواقع، فمنهم من يشور بتمرد، يغيب في المطلق، يستسلم، ينهار، يبحث عن الأمل، لكنهم يشتركون في أنهم يتوسّدون الحلم .

إنّ أحمد محمد أمين من القصاصين العراقيين القلائل الذين يميّزون بفرادة خاصة، ولديه الجرأة والشجاعة أن يتبنّى اليوتوبيا الحقيقية، من خلال قصص منسوجة من الحلم، يرتديها الجسد - الواقع، وهو من الذين تركوا - أو حققوا - أثراً كبيراً بقصص قليلة .

النص القرآني يتعمّق ودقة لكي نكتشف هذه الوظيفة المستترة، إي أن نقوم باختراق الحلم - الواقع للوصول إلى بنية حلم الحلم الذي يكون في دور التشكيل في ذات اللحظة، وسأورد بعض الأمثلة حتى نتبين عمقها واتساعها والتي يسميها القاص (الاختراق) عندما يقول: (أستطيع إختراق الأشياء - إلى ماوراءها) ص 167، ليأخذ طابع الأسطورة ووظيفتها، وعندما يتمنى أن يحلم مع الطائر (حلمواحداً) ص 7، رغم استحالة ذلك (واتبع طائري نحو الأحلام القصية والمستحيلة) ص 9، وفي بعض الأحيان يكون البديل عن الوهم: (كل الذي عشناه كان حلماً.. أضغاثاً من الوهم) ص 27، ولكنه باق مع الانسان ولا يفنى: (الأحلام لا تموت، إنها تعود دائماً تخطفنا من الواقع.. من الحقيقة، تأخذنا إلى مرابعها السريّة وتضيئنا بآلاتها السحرية) ص 63، وأنّه عالم من الأسرار والسّحر، وفي قصة (المشاكس) تختلط الأمور، تضيع، تشبه ما بين الحلم والواقع وبين حلم الحلم: (ظننت أن مايجري داخل الشّقة ليس سوى حلم) ص 89 مع وجود إشارة واضحة صريحة أنه يتشكل عبر الحلم - الواقع في قصة (رجل من أقصى المدينة): (لقد حلمت ليلة أمس حلماً غريباً .. بوسعك أن تحوله إلى قصة .. كم أتمنى لو أخلده .. فأحلام جميلة .. اشبه بفقاعات الصابون)

خُوذْ

شعر : خالد خشان - العراق -

من سلالات الحجر
القمر المحفور في ذاكرة الخوذ
كي تنتفض الأسماء
التي هي أدعية
غادرت ورق الخوف



الخوذ
خيام الرؤوس

<http://ArchiveBeta.Sukhrit.com>

والذفا يلود بها

من شظية مومس

تسرق

خوذ بعض الجنود

ثم ترميها في العراء

خوذ مثقوبة

* * *

لكن الخوذ الآن

أعشاش لطيور البراري

بعد أن غادرتها

رؤوس الجنود

الشعر ضد الكهنة

[مدخل إلى « أجراس الوردية »]

بقلم : ميلاد فائزة

التاريخ ، ويسافر إلى فضاء الفيزياء . إنه لا يقف وحيدا ، يدرك أسرار الكون واللغات . دخل جميع الكهوف وعاشر كل المشائين ، من جلبامش إلى هو ميروس إلى امرئ القيس ، إلى وامبوا ، إلى زوريا إلى سعدي يوسف ... إلى جبلنا نحن .

الشعر ضد التكرار ، ضد التقليد ، يسخر من المايا التي تحترم أناقتنا كل صباح ، المرأة توهم بالحقيقة : « أما الشعر فهو يبحث عنها منذ ما قبل البدء ، وهو يعرف أنه لن يعثر عليها ، لأنها لم توجد أبدا .. لذلك تتعدّد المسالك إليه !!

الشعر ضد الكهنة ، لأنه ضد الموت ، الكهنة لما ينقطعوا عن تأبين الموتى ، رؤساء معابدهم الأول الذين قعدوا الشعر ، فثار عليهم واحتسّى بالأعالي .. الأعالي المتوجّة بجواهر « العالم » .

الشعر يفتح الدروب ، لكنه لا يغلقها ، كلّ درب جديد إليه احتفال باكتشاف جديد . الشعر ضد الأسر ، لهذا ، بعد أن نام مع

الشعر يختبئ في مكان ما من هذا الكون ، ربما يشبه الضوء أو موسيقى لغة قديمة .. ربما لا يشبه الضوء أو موسيقى لغة قديمة .. ربما لا يشبه شيئا .. من هذا الأمرني ، البعيد ، الغامض ، العميق ، هو ما يسعى النصّ (والنصّ مطلقا) إلى إختراقه .

النصّ لا يحقق شعريته بأثواب قديمة مهترنة ، مرقّعة ، اللغة هي ثوب النصّ في المستوى الأول لفعل القراءة والنصّ واللغة مزيج بدني ، اللغة روح الآلهة ، والنصّ روح الإنسان هذا المزيج هو ضمان الكتابة في صعود التسلم إلى مجدها .

الشعر لا يموت واللغة لا تموت . ألا يجب علينا إذن أن نبحث عن لغة أكثر حياة وفاعلية لنقول أشياء نا ، تفاصيل أحلامنا ، لنحدث عن ألوان عيون نساء كثيرات سحرنا ، دون أن تنكئ على زرقة السماء أو خضرة غابات الشمال ..

الشعر لا يقف وحيدا ، منذ قرون كثيرة وهو يعيش في غابات الفلسفة ، ويعبر أنهار

لقب شاعر

شعر:

مصطفى أحمد النجار - سوريا

ليتنا في برية فسيحة مالها حدود

لتخفف من أحزاننا المخاتلة

نشم عبق الأرض

آلاماً أطيب رائحة الأرض

ها أطيّب العبير يحلق على رؤوس السنايل

ليؤلف فيما بيننا من مخمصة !

ليتنا فتلك لرح العصفير

وعجبة الفراشات بالوردة

وارتعاشات الأشجار

لحّت هطول السحر

ليتنا نتهجى الحياة

في مفرداتها العميقة

ونقرأ حتى الرميّ الأخير

في كتاب الوجد والصبر

لكي نستحقّ نايح المحبة

وصولجان الوطن

لكي نستحق

لقب

شاعر !

« القصيدة » لقرون طويلة ، فقرّر أن يهجرها..

.. لماذا هجرت « القصيدة » ؟

.. لأنها ترهّلت !

... هل سمعتم ما قاله الشعر ؟

الشعر يسكن في نشوة الألوان ، وانفتاح

اللغة ، وشبق الرّصات ومغامرة الضّوء ، يعانق

من يصل إليه ، يبارك رحلته ويمضي حيث يوفّر

امكانات أخرى للبحث عنه

الشعر



(1) « أجراس الورد » مجموعة شعرية لعبد الفتاح بن

حمودة

(2) شاعر تونسي . أستاذ مجاز في اللغة والآداب

العربية

« تهاوي الذات »

قراءة في جدارية محمود درويش

بقلم : علي الطرهوري

كلماته .

لقد بنى محمود درويش وطنًا من الشعر
في غياب وطن من الأرض . فقصيدته كانت
دوماً منبثقة من ذاتها ومستوردة ماءها من
غيرها روافد التاريخ والسياسة والأسطورة
ولأنه يقاطع اتفاقيات السلطة الوطنية

الفلسطينية مع العدو الصهيوني اليوم بينما
قد أجري سنة 1987 حوارًا مع المثقفين
الإسرائيليين لدرجة اتهمه البعض بأنه سادات
جديد .. ويحرم بعد ذلك من جائزة نوبل . ثم
يرفع عنه الخطر بعد مرض ويصبح اليوم مدرجا
ضمن البرامج الرسمية التعليمية في إسرائيل ؟
هل هو اعتراف بشعرته أم انتهى زمن الشعر
الثوري والقومي وأصبح القبول بالأمر الواقع
تعاملا عقلانيا مع واقع مفروض دوليا وعالميا
في زمن التماثل والنمطية ؟

أسئلة تطرح نفسها على كل قارئ لشعر
درويش منذ بداياته الأولى وصولا إلى جداريته
التي كتبها سنة 1999 وهو على فراش المرض
بباريس إثر أزمة قلبية كادت تنقله إلى العالم

كم كنت وحدك ..

يا ابن أمي

يا ابن أكثر من أب

كم كنت وحدك ؟

م - د (مديح الظل العالي)

تقديم:

حين كان الشعر عنقاء العرب والعنقاء
طائر خرافي مجهول لم يكن السؤال الشعري
قائما بعد ؟ ولم يكن الشاعر يوسعه أن يسأل
: « ماذا فعلت في الدنيا لأتحمل وزر الشعراء »
وأنا وريث سلالة الأنبياء ، وأنا الرائي
والسّاحر ؟

فلم يعد السؤال مجديا اليوم . فلا
الرحلة ابتدأت مع الشعر ولا الدرب انتهت .

إن القطار الشعري عند درويش لم يكن
يوما مفصولا عن السياسي فلماذا لا يمكن
الفصل بين ماهو شعري وماهو سياسي ؟ لأننا
عندما نحاكمه شعريا فأننا كذلك نحاكمه
سياسيا . ولذلك فأننا متورط تماما في قراءتي
له مع القضية التي استوطنت كل كلمة من

يصنعني ويصرعني الفضاء اللانهائي المديد سأصير يوما ما أريد

إنه قصيد حاكمي تتداخل فيه مستويات
عدة من الحكيم وتدخل الشخصية في لوحة أو
حلم أو استيهام ونجد نزوعا إلى التعرية
وتذبذب المعاني بين ماهو حقيقي وماهو على
سبيل المجاز ، فلا شيء يفضي إلى التشابه إذ
الدال لم يعد معبرا عن مدلوله والأشياء تفقد
أسماء ها وتنغلق الحقيقة على كابوسها بينما
تنتفح القصيدة على الأزمة الإيقاعية : «سأصير
يوما ما أريد» ويمتزج الحلم الذاتي بالحلم
القومي وتنحل الضمائر في الخطاب كما تنحل
المشاعر والعناصر الموضوعية للحلم ، وحتى
الشاعر لم يسلم من عدوى الإحتلال والتلاشي
يقول :

يا اسمي

سوف تكبر حين أكبر

سوف تحملني وأحملك ..

يا اسمي : أين نحن الآن ؟

قل : ما الآن ؟

ما الغد ؟

ما الزمان ؟ وما المكان ؟

ما القديم ؟ وما الجديد ؟

سكنون يوما ما نريد ؟

فهل عاد الشعر في غمرة مرضه يعرف
مايريد ؟ أم أن فقدان المعنى جعله يهذي

الأخر وتضع حداً لأحلامه حيث تتشكل لغته
كلمة كلمة وصورة صورة لتغزل وطننا من نسج
البأس يمتزج فيها القلق السياسي القومي بقلق
الإبداع : وتلوح الأرض الجرح السياسي
والذاتي والجرح الشعري الذي يحدّد خصوصية
المكان وتلوح فيه البلاد بعيدة كنقطة في الأفق
تسبحر رويدا رويدا وتتغنى الأزمنة فما عاد
الماضي في قبضة اليد ولا نملك حاضرتنا
ومستقبلنا . وينعكس ذلك في الصورة
الشعرية لقصيدة طافحة بالألم والتحرر على
المصير القائم كفراشة تقترب من النار فتحترق
بها . لقد كان محمود درويش لحظة المكاشفة
الشعرية يلود بالأسطورة في شكل طائر
الفينيق يبعث من رماده ويقول :

كلما احترق الجناحان ...

اقتربت من الحقيقة وانبعث

من الرماد

وبموجب ذلك تتحوّل العلاقة بين الشاعر
والمكان وبين الشاعر والزمان إلى نوع من
الفوضى العارمة والاستقرار حيث تفقد
الأسماء الحقيقية مدلولاتها فتغيب في زخم
الكلمات وتستحيل إلى جدارية صامتة تنسج
خيوطها من عمى الألوان يقول :

لغتي مجاز

للمجاز

فلا أقول ولا أشير ...

يقول :

هل أنا هو ؟

هل أودّي جيّدًا دوري من الفصل الأخير ؟

هل أنا من يؤدي الدّور ؟

أم أنّ الضحيّة غيّرت أقوالها ؟

لتعيش ما بعد الحادثة

بعدما انحرف المؤلف عن سياق النص

وانصرف الممثل والشهود

في هذا التداخل بين الضمان ينحسر

الدّالّ في لعبة المدلول ويستقيل المجتمع الدولي

من مناصرة القضية الفلسطينية العادلة في

مشرّحة اكتملت فصولها . ولم يعد السؤال عن

الهويّة أمرا مطروحا . لقد انسحب كلّ شيء ،

تاركًا وراءه العديد من نقط الاستفهام

والغموض وتحوّلت غربة الذات عن الوطن إلى

غربة الوطن عن مواطنيه .

وكأنّ صدى المتنبي ماثل في قوله :

أطاعن خيلا من فوارسها الدّهر

وحيدا وما قولي كذا ومعني الصّبر

يستحضره درويش في قوله :

أنا وحيد في البياض

أنا وحيد

ماذا فعلت هناك في الدّنيا ؟

ولم أسمع هتاف الطّيبين

ولا أنين الحاطنين

لم تعد الذات الشاعرة تحفل بتفاصيل

ويتصوّر نفسه وحيا سماويا لينقذ الأمة من

رمادها ، أو يشهد زوالها . لكنّي به يتحوّل

كما يقول صلاح عبد الصبور إلى لاعب

سيرك ..

وهل يمكن أن نطلب منه أن يتحوّل إلى

نوح يلقي الصّبر جراحا ؟ أم هو مكلف بالحلم

والإبتسامة يداعب اليرقانة أو غصن الزيتون

الذي لم يعد شامخا كما كان ؟

ثمّ هذه الحالة من القتامة ألم تلازم

الشاعر منذ ملحمة « أحمد العرين » إلى يوم

الناس هذا يقول في جداريته الأخيرة :

لا القوة انتصرت

ولا العدل الشريد

سأصير يوما ما أريد

في هذا الصّراع المرير لا يوجد مغلوب أو

غالب فلا قوّة إسرائيل ولا عدل القضية

الفلسطينية منذ ما يربو على النصف قرن .

فهل الشاعر نبيّ مرسل يوحى إليه ليقول لنا

ماذا نفعل ؟ كيف ؟ وهو المشرّد في الغياب ؟

لقد جاء ت قصيدته الأخيرة مشققة بالأنقعة

الأسطورية تستدعي الذاكرة وتعود إلى المغول

والتتار والمنتبّي وإلى حكايات يوسف وزكرياء

في ديوانه لماذا تركت الحصان وحيدا ؟ « وإلى

طائر الفينيق في جداريته هذه أسطورة تاريخيّة

توظّف شعريا ضمن نظريّة العود الأبدّي أو

الانبعاث ولذلك ما برّره في سؤال المصير القاتم

المكان أو الزمان مع فوضى المشاهد والألوان .
وفي هذا الفضاء الكوني أصبح الحلم مصادرا
غريبا عن زمانه يمضي به الواقع في اتجاه
جديد :

كأنني قد متّ قبل الآن

أعرف هذه الرؤيا

وأعرف

أنّني أمضي إلى ما لست أعرف

ربّما ما زلت حيّا في مكان ما

وأعرف ما أريد

سأصير يوما ما أريد

إنّنا لم نعد غلّك حقّ القبول أو الرّفص
ولاشيء يمكننا الاحتما به فلا التاريخ ولا
الدين ولا السياسة يمكنها الإجابة عن أسئلتنا
أو أحلامنا

سأصير يوما طائرا

سأصير يوما شاعرا

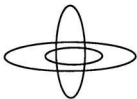
سأصير يوما ما أريد

إبقاع بطي . يحفل بالعدمية وغياب الدلالة
فهل يملك امتلاك الإرادة في المستقبل ؟ هل
يملك الشاعر حرّيته ، وهل ينتهي كابوس
الاستيطان فيعود الطائر إلى التحليق في فضاء
ه من جديد ؟ أسئلة مشروعة تطرح نفسها في
عالم يفتقر إلى مقوّمات الشرعيّة ! وكأنّني
بالقصيدة نبذة نشحت من يبوسة عروقتها في
أرض غير صالحة للعطاء ينطبق عليها القول
المأثور

كالعبر يقتلها الضمّ

والماء فوق ظهورها محمول

إنّني أرى محمود درويش من وراء السطور
وفوق فراش المرض يتصيد عواصفه وهواجسه
ويحاول أن يكسب الكلمات من دمه المتدفق
حبّا وأنينا إلى مصير قد يلقي فيه حتفه ، وهو
دائما يقتطع من ذاته ومن رواقده لعلّ الربيع
يوما يعود إلى إشراقه وتعود للورود رائحة
العطور ...



على هامش جائزة «مفدي زكريا» المغاربية 97

قراءة في مجموعة : ن .. ووجهك الغارب!!

للشاعر : بشير ضيف الله

بقلم : أنيسة دحماني

. الجزائر .

الإهداء .. «زينة» .. الزاي .. ثم النون ..
حكاية رجل متمرّد .. متشرّد .. وامرأة كوّرت
الانسياق في عنفوان شاعرنا حيث ابتدأ عفوته
.. وانتدابه ..

« زمن ليس ككل الأزمنة ..

زمن نحلم فيه بصدى حلم طفولي ..

وجوه ألفتها العين ذات مرة ..

قبل أن تصطب أحلام النّبين

على كفّ زناد .. وطقوس قنبله !! »

هي لحظة أرق .. كما وسّمها الشاعر .. بل
هي لحظة جنون ميسّة .. ارتسم فيها الواقع
الزّائف وارتطم بواقع طفولي حالم .. يحاول
الشاعر استقطابه .. رغم أنّ الزمن لن يعود ..
الذين كفروا بالحبّ .. كفروا بالأمن .. فأين
الصّدر الآمن؟! ذاك سؤال لم يرد الشاعر
الإجابة عنه .. ويبقى الزّاي رغم كلّ شيء ..
ملاذ الشاعر .. وثورته .. ويبقى النّون وجهها
آخر للمتعة :

« ز .. ن ، مملكة أنت .. قلاع لا تخور ..

كنت حلمت عندها أنّي أسطو مثل «سورمان»

ضمن إصدارات المجاهظة الخاصة
بجائزة «مفدي زكريا» للشعر 97 ، صدر
للشاعر «بشير ضيف الله» المجموعة الأولى
على هامش فوزه بالمرتبة الثالثة العام الماضي
ضمن هذه المسابقة التي بدأت تتخذ أبعادا
عربية ، وهو ما تجسّده المشاركة الواسعة خلال
هذا العام . كما علمنا - « ن .. ووجهك
الغارب !! » قد تكون بداية البدء لهذا الشاعر
الشاب ضمن حلقة دورانية ملتصقة تمتدّ
توهجاتها لتعانق طلائع الحرف المتقدّم ، وحكاية
اللامنتهى .. والالتصاف .. هي مجموعة تداخلت
فيها الرؤى .. واتّشح الغموض فيها بالفرح ،
على حدّ تعبير الشاعر التونسي : « عبد الفتّاح
بن حمّودة » الذي وضع تقدّما لهذه المجموعة ..
المهمّ .. أنّها حكاية لا تنتهي .. وطيلسان
جسد مواطن الأثوثة الوجود ، اللّذات ، الوطن
، وحرقة المستحيل ضمن مجال اترياحي حرك
الطمأنينة في الملاحظ لهذه المجموعة .. يجد
أنّ للزّاي نكهته .. وتفويضه .. أو هو محور
هذا الكلّ المتداخل .. إذ يبرز ذلك من خلال

رغم شعور مخيف بالبعد عنه .. بالاغتراب ..
أو هو شعور متعمد .. حتى تتضح صورة ..
وحقيقة هذا المنفى الضي .. لدى الشاعر ..
فمن أحب وطنه ، تغرب في سبيله ، على حد
تعبير الكاتب الفرنسي : «برناردين دي بيار »
« البلاد البعيدة ..

تلك التي ضمنتني هويتها .. شجرا .. حجرا
تغازلني مرة .. وتهجرني ساعة ،

وتغيب .. تغيب

كما أنها لا تعود

وتحبي- الرعشات صنيرة تتضوع ماء ،

مبللة الأشعة !!

الماء ، الرعشة الهلامية ، وشعور بالفرح ،
والخوف في آن واحد .. لكن الحلم ، والسفر
نوتتان علقتا هذا الشعور ، فالإشارة إلى الماء ،
هي دعوة للحلم ، والسفر كما يقول «غاسكون
باشلار» إن حكاية كهاته .. تستقطب في
القارئ لهذه القصيدة كل الانتفاءات الخلونية
المحيكة لاغتصاب الانسياق العادي اتجاه ملكة
، وطن ، وكيان معقر بالماء والشعاع ، إذ
تختصر الأشعة الانزياحية في شعور واحد ..
ما دام أن المدينة لم تستيع نخلها بعد للغرباء ،
ولامها في بلاد معنونة بالعباء ، على حد
تعبير الشاعر بل هي قمة للبوح ، للتعري
الخل ، لتحطيم كل الحواجز دون اختيار ، أو
مساء له حتى إشعار آخر ...

دون بروتكول .. أو مواعيد
كطفل حالم !

هي النعمة . الطفولة . الحلم . و«زينة» وهج
هذا التجلي .. إن للطفولة المبكرة شأنًا خاصًا .
كما يقول «د / محمد ناصف» .. إذ تبقى
شذراتها عنفوانا ، ومنطلقا يخبئ أن يشير من
غبار الطلع ما يجعله يعفينا من التساؤل المخيف
«والفارس الجوال ضاع حرقه
سيدتي ،

فمتى اللجوء ؟»

اللجوء لن يكون إلا للوطن . المرأة . الخصب
، والنماء ، فمواسمها البيض أوسمة للتجنس
بخيارات هذه المدينة المخضبة بياض الأمكنة ..
وهو هنا يقصد «العاصمة» - حيث تبرز
اشتهايات شاعر ينساق وراء الشعور بجذبة
نحوها .. أيما التجذاب .. دون إزعاج .. أو
غفلة ..

« مواسمنا البيض ..

طيش الفراشات .. في عبث ..

وقوافلنا المومياء !

ففي البدء .. كانت المواسم .. كان البياض
.. وكان الخصب ، والنماء .. في ظل شعور
واهن يمارس سطوته بغطرسته الجنونية ، ليحيل
المنتأى إلى ركامات رماد .. ويقايا أجساد
تكاد تكون مرفسا للأقدام .. أو هكذا يصور
الشاعر .. هو الوطن دائما .. وتداعياته ..

كلّ هذا .. رغم أن الشعراء أنبياء هذا
المزيج المتناثر .. الناجم كالطفرة عن لحظات لا
تقبل الارتسام ، أو التناهي ، أو المجانسة ،
أو القدر أحيانا .. ومهما يكن فإن ترصد
النقاط السّانحة خطوة حقيقية نحو اقتسام
الفاجعة ، والانبثاق .. فالهروب .. والأسئلة
والشّروء حكايات تمنع انتماؤ الشاعر للأمتي
في متاهة يبغي الضّبايع فيها معلّقا حتّى
إشعار آخر:

علق ضياحك .. إني الآن محتفلا

منك ابتدائي .. فهل أعلنت ليلاي؟!
قد تبدو المداخلات كلّها عجرفة .. أو
شروءا غير آبه ، لكن التّجسيد في كلّ هذا
رؤى تتلصّص مسامات وجع يصهره التجلي من
كلّ ناحية .. حيث لا مكان للبوح بأسرار الفرح ،
في زمن لم تعد الأرض فيه قابلة للمدد ، ولا
البلاذ قابلة للتجنّس ، ولا الليالي عاشقة
لطقوس الشعراء المجانين قبل أن يكونوا ..
قبل أن يلد الحلم فيهم .. قبل أن يستظلّ
الارتطام بعوالمهم الجنونية .. وأي عوالم؟! وأي
أحلام؟! إن التّجربة تكاد تشير نفسها .. تكاد
تجسّد نفسها أحيانا ، وتنفيها أحيانا أخرى ..
كما لو أن العالم يتموقع في مثقال ذرة أو نقطة
ما .. لا على التّعيين أو هكذا يبدو :

« كنت الوحيد .. وطفل الأوس يصلبني

حيث البدايات .. لا أهل .. ولا وطن »

ويبقى الزّكي . كما أشرنا . نقطة البدء ،
فالوطن . الملكة . المرأة ، انسياق تجاذبي ،
واحد ، يجمع الزّكي ، أو « زينة » . الوطن .
الملكة في الإلتجاء المقابل ، هذه المرأة لم يكن
الوطن هو « زينة » ، بل كانت « زينة » هي
الوطن . المنتأى :

« زينا نثرت على القطبين أسئلتي

فبتّ أقرأ أشعاري .. وأحتسب !

ها .. شععتي رعدة الأيام تطفئها

إني سأحلم .. على الومض يقترب !

لك المدينة ، والنّاس ، وما امتلكوا

ولي التمدّن في عينيك .. والذهب ! »

فبين الضّبايع الفردي المشاكس ، وبين
قطبين مهترئين .. لم يعد للشاعر انشغاف .. إلا
الحلم .. أو التّخلّي دون ارتكاس ، مبادم أن
هناك شعورا بالنشوة التّجاء عينين شمسيّتين ،
وضهب لا يتخلّى عن أمثال هؤلاء المولعين
بالمغامرة الأميركية ، أو العكس ، إن مدنا نحلم
بالورد ، وبالموبيا ، وتسقطب الشعراء
المجانين .. هي مدينة الشّاعر المفضلة .. لكن
أن تنكر كلّ هذا .. فذاك وجه الحيرة ..
« لو تشاء المدينة ما لطّخت وجهها .. ما
أنكرتني ،

شوارعها أخطبوط يمارس سطوته ،

كان علّقني عاري الرأس من قدمي

ولاسيف إلا دمي ، وتعاويد أمني .. »

قبل أن يغدر القوم بي ،
ويلقن لي بعضهم تهمة الخوض في عشقك
القنبلة !!

فالتواغيس مشرّبة أعناقها ، تبحث عن
فرصة قاتلة ، والحكاية لا تنتهي عند هذا الحد
ومهما انكثت فرص الفرح .. كان النماء أقوى
، حين تلتهم الرّوح بالعبادة ، والعبادة بالعشق
، والعشق بالأمانة ، فلا مجال للخوف ، أو
للقيء الهلالي .. :

« وأقتحم الشوارع دون خوف

لأنك أنت سيّدة العروش »

فالتجربة علّمت شاعرنا الاقتحام السّاحق
.. في ظلّ سيادة نبع ضي ، ووجود نخيوي
يحدّد مكانه من كلّ الأزمنة .. رغم أنّ الزمن
واحد ، فالحبّ ، الوطن ، الجمال ، الكبرياء ..
أشياء يجب أن تؤنّس الإنسان .. فأنسنه
العالم ضرورة ملحة ، وتلك نقطة البدء ..
ونقطة البدء امرأة منفي ، امرأة حياة ، وامرأة
كيان .. لذلك كان آخر مقطع للشاعر في هذه
المجموعة صورة نامية ، تحرك هذا الزّخم
المتعشّش في كياناته :

« الليل منفي فيك ** والثغر ومض أبيض !

والكلّ في عينيك ** يموت .. ثمّ ينهض !

تستدّ من يدك ** رؤاي .. ثمّ أغمض ! »

هكذا أراد الشاعر الشاب : « بشير ضيف
الله » لكيانه أن يكون ، وهكذا هي « الجزائر »

تلك طائفة أولى من مجموعة نصوص هذه
المجموعة التي يختتمها الشاعر بنص القصيدة
الفائزة بجائزة « مفدي زكريا » المغاربية للشعر
97 . والتي هي عنوان نفس المجموعة ..
حيث بدا فيها الاستقطاب واضحاً .. فكان
مقطع الشاعر الكبير « بابلو نيرودا » بمثابة
مدخل لهذه القصيدة الطويلة .. حيث يظهر
جلياً أنها تمثّل مرحلة حاسمة لدى الشاعر
بمقاطعتها الاثني عشر ، لكن يبقى « الزّاي »
ويبقى « النّون » وتبقى مطبّات أزمنة الحرف
المتوهّج والقلب الحالم ، المتسرّد ، والوجه
الملاكي السّاحر .. كلّ هذا يشير في الشّاعر
الرغبة في البوح في الصّراخ ، في الحلم ، وفي
البكاء أحياناً على صدر ما ، فأبى كان هذا
الصّدر .. صدر امرأة .. أو أمّ تستقطب انتباه
دخيلة الشاعر :

« .. هي الخلعة المشتتة تعاقرنني عشق أمي

وامرأة كنت شمعتها في طقوسي ..

انتشاء فرح !! »

إنّ الشّعور بالفرح أحياناً يؤلّد البكاء ،
الحلم ، وأحياناً التهور في مدن ورمها هاجس
الخوف وأشياء أخرى احتكرت بوتفاف أزمنة
الدم ، وأعراف عمرها ألف عام . على حدّ تعبير
الشّاعر . جعلت من العشق تهمة مفبركة ، أو
قنبلة شديدة المفعول ... :

« إنّي لي رغبة في انتعال هويتك بالوطن

مريم

شعر: محمد الأمين

لما اليد تذبذب	لما القلب ينوء بالشجن
فلا حركة ولا عمل	ويثقله الحزن
تبحث وسط التعب	يبعث وسط الأسى
عن فعل	عن الحن
يعيد الروح للصدر	يفسله كما المطر
أكتب اسمك مريم	أذكر صوتك . مريم
لما الدنيا سوداء تصبح	لما العين بدميها الدمع
وبالأسى تنضج	فلا ترى ولا تسمع
أبحث في الحلم	تبحث في العتمة
عن فرح	عن شعاع يلمع
يعيد الألوان كما قوس قزح	يعيد الرؤية كما البدر
أرسم صورتك مريم	أذكر وجهك مريم

«عيد الفتح بن حمودة» دائما بمناسبة الحصول على جائزة «مفدي زكريا» المغاربية للشعر 97 وعليه تمنياتنا للشاعرين الشابين مسيرة رائدة ، وإنتاجا أكثر .. فمزيدا من الشعر .. ومزيدا من التوفيق والانبثاق ..

تلد في كل يوم شاعرا يجسدها ، وذلك هو حال الأمة العربية جمعا . « فالعرب ولدوا جميعا شعرا .. » على حدّ تعبير المستشرق الألماني : « نولدكه »

في الأخير نشير إلى أن « المجاحظية » أصدرت كذلك ديوان الشاعر التونسي الشاب

الثقافة ونحت الأصنام

بقلم : عبد القادر الطويهري

ومع ذلك لاشيء يمنع من الوصول إلى درجة عالية من الوعي فيملك القدرة على ممارسة التنظير والمقارنة والمفاضلة والتقييم واتخاذ المواقف الصعبة .

غير أنه من المؤسف بل من المؤلم أن من بين الذين تبوءوا قسم الوعي من يهوي كالسهم إلى النقطة التي بدا أنه قد قطعها ويتخلص من مضغون هذا الوعي الذي اكتسبه ويتنكر لكل المهارات التي نحتت نفسه ويعود إلى ممارسة عبادة الأصنام من جديد دونما حرج وإنه في هذه المرة ينحتها من الكائنات الأخرى .

هذه قصة الثقافة كيف تبدأ وكيف تنتهي وهذا قدرها، بعض المثقفين هم دائما مثقفون .

والبعض الآخر من هؤلاء المثقفين يصبحون غير مثقفين أما الثقافة فهي في كل زمان ومكان ارتقاء بالتصوّر إلى أعلى المستويات ومهارات راسخة في الاستيعاب والامتلاك والتنظير والمقارنة وقدرة على التقييم وعلى ترتيب الأولويات وتعامل بلغة المنطق الذي ينبذ الزيف والمغالطة والنفاق والازدواجية .

يبدأ نمو الإنسان من اللحظة الأولى التي يولد فيها غير أن هذا النمو لا بد أن يخضع في البطء والسرعة إلى الآليات التي تتاح لكل شخص وإلى المواهب التي يمنحها .

حدثنا التاريخ فقال : إن الإنسان قد يعجب بالطبيعة الصامتة أو يرهبها فيضع منها صنما يعبد . وعندما يرنو إلى السماء وهو يتدرج في النمو تسحره كواكبها ونجومها ويخافها فيدين لها بالخضوع وتصبح في نظره آلهة . وفي مرحلة أخرى من حياته يعزف تماما عن الطبيعة الصامتة ويتحوّل عنها إلى الطبيعة المتحركة فيقدسها ويتخذها معبودا مثل العجل والبقرة .

وحين يقطع شوطا كبيرا في درب النمو يتخذ من الطاقات المختلفة مقدّسات كالبحر والجمال والشعر والحب .

يتم هذا كله عندما يبلغ الإنسان درجات مازال متواضعة من النمو أما حين يبلغ نموه درجة متقدمة فإن تصوّره للأشياء يرتقي بصورة متميزة .

الطفل العربي

شعر : محمد العائش القوتي

أنا الطفل العربي
لم أزل بعد صغيرُ
وأبي بالهمم
ينتج الخير الكثيرُ
وأنا في حلمي
مثل عصفور صغيرُ
وبلادي في دمي
وحياتي كالعبيرُ
أنا الطفل العربي
كلّ عمري في سرورُ
للغد المبتسم
لم أزل دوما أسيرُ
يا بلادي أسلمي
إنك الحضن الكبيرُ

السندباد الأخير

شعر : ناجي بن جنّات

تسألين القمر هذه الليلة ..

عن البعيد الآتي

لو تعرفين لهفته ..

ومواعيد اشتياقه ..



لو تسألين حقيقة سفره ..

وتاريخ غريته ..

وذاكرة أحزانه ..

وإطلالة الحريف في غرفته ..

تسألين القمر هذه الليلة ..

وكلّ .. الليالي

تسألين العائدين

عن .. مدن الضباب

والأحلام المشروعة

ومصير السندباد

مرّ الكلام

شعر : رياض العيفي



... في كلّ فجر
حين تدقّ أجراس المدينة
تشئت أفكارني
... وتهجرني ... أشياءني
... وأشلائني

وتعمّ أحشائي ...
السكينة ..

فتراني ...

... أهيم بشوارع الأمس

... في الذّكرى ذكرى ...

وبالبال ... فكرة ...

أحرف ، من أعماق العذابات

.... تنادينا ...

أنا .. والكأس

ومواويل العشق

الحزينة

ها إنّي .. وكلماتي .. وحطامي

ولا تديمي الوصال .. بأحلامي

.. فقد أنتشي .. بنغم

.. وأسكر من قدح الشعراء

.... فينا .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

احتفاء النور والنار

شعر : مفيدة البرغوثي

حريق زائف يثقل كاهل التراب
في رقصة الريح
وماهي إلا نفخة واحدة حتى
أسقط في وهم المكان

في عينيها فتيل وسراج
وفي الفم شلاكل زيت ونار
يشذب الصخور انتحارا

تتكسر فيه دمعتي
يأتي على الأخضر والأخضر والأخضر
لا حاجة لتصدع الزمان في الألوان
لا حاجة لزمان
في عيني سراق وعريش
وليس في القلب مكان
يقفوني حجّاج الأبد
بين الصفا والصفاء وغريتي
احذروا عليها تسقط منكم فتصحو
من تفرّدها
احذروا علني أموت

في عينيها سراق
ومفتاح
وفي القلب عريش
نبت الورد الأسود في الغور
وشجي الحمام

في عينيها غمام
وفي القلب ستون عجاف
للزيتونة أوتاد

ولشعري منابت متداعية
أين أولي وجهي؟
والبيت مقلوب
وسماني مغشبة عليّ
أقمت وإبراهيم وجهة
ثم أضعت أثر الراعي
من يقفوني؟
والآلم حفيف
للزيتونة احتفاء النور والنار
ولي الوهج والعرق
والطين

الهارب من جنته

شعر : صفاء ذياب - بغداد -

كلّما مارستُ انتباهة ورد
شقت الشمس بيمينني
وانشيت بالأخرى أدوي جروح النهر
هذه مشكلة العاشق دائما
يعدّ الخطايا، ويستبيح الجنوب
كلّ عاشق جنوب
أرخی المواعد صوب اللهاث
وأشهى قلبه براعم جمر !
ليسرّقا اللذة ويدشّنوا الجداول
بالابتهالات
هذا ماأكنه وحدي
للنيازك والأقمار الغارقة بالندی
بينما يخضّر المكان كلّما وضعت
فمي عليه
مستلقيا ..
يسرقني الشهر ، ويمضي
هنا عشتار تبحث عن عشق يللم
أردانها
هذه أور تحمل بنبيّ تحرقه النار يسمو
وهذي القلعة تبهر صوب ضحاياها
.... ص ف ... ا ... ع
مجهول في دفاتر الشرطة
ماذا يصنع وجهاء البلدة أمام نقاط
التفتيش ؟
ملعون بحرق أوراق الليل ،
ويهرب عند الفجر
مخبول يرقد عند عتبات الصّحراء
هذا الغراف يؤرخ مسنة ..

المياه تترجرج بين صفاته
جرف ..
يحزم أشرعة الصغار
ويشكئ على سراب المدينة
ذاتها الأرض تدوخ
ذاته الهواء يشرب الوقت ويخجل
النجوم
ليذبح فتسيل أنهارا من الأريج
... حينها لم يكن الوقت
أدرك الملائكة صفة التراب
فانبطحوا لاهنين وراء الدماء

ماذا يصنع بالهارب حين يفيض ؟

2.

أشم رائحة المدائح

والدفوف التي ما ارتاحت مآذنها ...

تودّع الغريق

ليسيل النهر أجفانه

متسرّما في الجفاف المورق حدّ الانفطار .

دقة واحدة تكفي

مثلا الباب المغلقة خلف الضباب

تعرّقت حتّى احمرّت أصابعها

لاشيء يولجها بيتا ، فتفرق في الزحام

الكلّ اشترى الفضاء

وتاهت الباب تبهّث عن حائط ..

بأوبها الشتاء

مركب ..

يولج النهر ويسخر من شاطئه

والشباك أشرعة

لها ميادينها وساحاتها المطفأة

ولاقتات تتمثل في النسيم

العابر صوب الجنوب

إشارة واحدة

تنأى بي ..

جدّتي المكونة في السوادات

أمّي التي تكرّرت ألف مرّة

وأطفال الخائرون

يدلون بأرجلهم ..

ويشتمون الشتاء !!

3.

الحدائق تلبّل ريقها بندي زهرة

بينما يشرب النائمون أحلامهم

على شرف الرصاص

الكلّ واقف هنا

مناتها المتكأة على جسد الريح

مدارسها المفروشة منذ ألف من السنين

بساتينها الخضراء حدّ الياس

والسراج الذي شرب النفط وانتشى

تشاء ب منذ احمرار النحاس

هذي التوافذ المرمية تحت أقدام العابرين

تفتح ذراعها

وتسند المزلاج إلى حائط

بات يبيكي ..

كالجنوب

4.

ما إن سعد الوهج مرعى أصابعي

حتّى استكانت يدي وبرّقت للوعد

أملًا المسافة ، وأمدّ الغناء إلى آخر المقبرة

جثث تتدلّى من عناقيدها

وسحالي المساء تورق في شعري

يا براع الدخان ..

ماذا أمسح من خاصرة الزمن المبيّنة ؟

ماذا أسأل أيّ وهو يوثق ميتة تحت الوعد ؟

هذا ، بعد انشداد عيوني إلا العابرين

الجنة أعياد اليتامى

جدران

شعر : أميرة الرويقي

أيها الورقُ

احترق

لاوحي

في جيوب المسا

أيها البحرُ

تقرقُ

لازوارق ترسو

فوق عُكَنِ السَمَا

أيها الحجرُ

ترقرقُ

لابيوت تجشو

في حضرة

القمرُ

تكرار

وهي ، كلمات الهوى

اجترارُ

هي أفكار الردى

قفارُ

هي ، أقراص المطرُ

يستريحون فيها تحت قبة المديح

يستنزفون الموائد بلعابهم

ويستشربون الزيد الطافح من البطون

ألم المراعي .. وأنشد للحضارات

أوروك التي حملت حقائبها

تودّ الرجيل إلى أوروك

وجنائنها المأسورات بأخبار الطوفان

لم تزل صاحبة الحانة تنصح كلكاش

لم يزل أنكيدو يضاجع العاهرات

لم يزل أوتونبشتم راقدا خلف البحار

يسأل الطير : هل جفت الأرض ؟

فجأة ..

اختفت النوارس ؟

منذ البدء ..

كانت الحياة أفعى

كانت الأفعى تتسريل في ثياب من

الحشائش والأدغال

بينما التراب الذي تغمّص جسد الأرض

اكتفى بانتباهة غريبة

(هل جفت الأرض .. ؟)



الأرض تكشف عن ساقبها

شعر : حسن النصّار
- العراق -

كم كان رأسي	إذ أنّها سكنت عرشا
يسعى ...	بلا كرسي ..
في سما رأسي	فخالف الريح
ويطلق الصلح بين الليل	يمشي خلفك الأمن ...
والشمس	وخاصم الدهر
وكم مسحت	لن يطويك
عيون الفجر من شهر	أوينسي
وأوصل القطع	وربما ...
بين اليوم والأمس	تخذل الشمس
وما منحت	أرجلنا
سموم الريح ...	وتمتحن النور إطفاء
من بصري	الفوانيس
فلتسع عمياء ...	***
في يوم هوى	لاتلبس الحرب سلما
نحس	لاتهادنه
أميرة الريح	كلّ المسالك حرب
لن تخش مراجلنا	دوغا لبس

في ذاته	النفس أوكها
أهدا	والذات في لجج
يسعى لتشييده	فمن
في الوطن القدسي ...	يكذب فينا
ولي أنا وطن	صحة المس ؟ ...
في رأسي	ضدان قد جمعا في خلق
الثلل	آدمنا
أصحو بسكرته	هذا يصلي
دوما	وتكلم في لظى الكأس ...
بلا رأس ...	فأن تحررت من بحر
***	يقيدني بر
أن تكشف الأرض عن ساق	إذن
تراودني فقد خرجت لها عار	نحن بالأمرين
من اللبس ...	في الحبس ...
خلفي الغواية ...	أعي الأمور أنا باللمس
دوما والوراء	من صغري
أنا وقد ترى أول	ولا أرى وطني المنظور
الترتيب	باللمس ...
بالعكس ...	غرست بالدمع قلبا
أسى للكل	طي تريتته
علّ البعض يغفر لي	فسوست بالأسى
حتى اعترفت	لم يبق من غرس ...
أساء اتني	كلّ له وطن

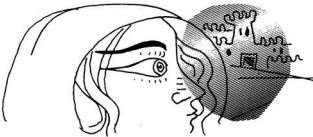
أقيس بالبؤس	بلا رجس ...
بعدا	فقد خلقت بلا حظّ
طال أو قصرا	بعاكسني
كأنّ قلبي اصطفى	لأعكس الظهر
المقياس من بؤسي ...	بالأيجاب
رميت ذا البعد	في النجس ...
عن قرب	ولي دروس على أرض الهوى
فاتبعني سهما بمقربة	كُتِبَتْ
في البعد من قوسي ...	فما تحرّرت لا
حتّى اكنوى كبدي	من أوّل الدرس ...
أن كان لي كبد	وما سلمت
إذ قد خرجت أنا	إذا استسلمت من صَبَبٍ
حامد بلا عيس ...	كلّ المحبين
	مرفوعون بالنكس ...



وتعطلت لغة الرعاة

شعر : سمير تهيمش

سقطت .. فهذا الليل متسع يضيق فلا شراع
ولا جناح يرف في هذا الخريف
ولا حفيف
سقط الشراع على الشراع
سقطت ذوايات التخيل على التخيل سقطت ..
فهذا الليل متسع لأشياء قديمة
توقفت في السفائن
جفت مسارب الحياة
وتعطلت لغة الرعاة ...
سقطت ...
واقفل بابك الشرقي يا قلب
ليندلع الهجير على الفلاة
على بدايات التصدع والسقوط
لأراك مصلوبا على أسوار قلبي
من أين أعبر منك إلا إليك قلبي ؟ وبابنا مازال
مسدودا
من أين أهرب والدم المسفوح في
ومن خلفي الخطى متسارعات
الليل حولي من توسعه تكسر وعيه ...
فهام خلف أبي نواس من الحلول إلى الرحيل
ومن الرحيل إلى الحلول والباب دونك موصدا
والى متى ستظل في عيني خطوبك أبها الباب
القديم ؟
الروح مشرعة على « إرم العماد » والسيف
يقطر من دمي
وعيون حجاج تحاصرني أراه إذ يضع العمامة
يجتزأ رأسي من جديد
يتقصّد المخ بسيف من جديد ...
فالى متى ستظل تزرع ما تقول الريح إن لاقت
نخيل ؟؟



الشيخ والسنوات

شعر : نورالدين الصولي

كيف أنفذ من جراحي ؟
و حلمي ريشة
في مهب الرياح
أمدّ يدا
من خلال السراب
أضمدّها
فينزف الجرح على الجراح
كيف أرحل في الربيع ؟
بين ضلوعي
باقّة ورد وياسمين
وأغاريد طير
أنهكتها السنون
فباتت نشازا
في وقع النهار
كيف ؟
و أوراق الخريف
جاثمة على صدري
تمتصّ منّي بقايا اخضرار
أركن له عند الأصيل

أقلّب دفاتر الذكريات
تساقط منها آهات
وبعض البسمات
كيف أراد شراة السنوات ؟
وأحنط الزمان
في آخر الصفحات
كيف ؟
وأمطار الخريف
تفلسّني
تطهرني
تسحبني
رويدا... رويدا
كفيل الغابات
إلى مقبرتي
كيف أنفض عن جسدي
زحف الأرقام ؟
وأخاديد وجهي
وبياض شعري
مرآة أوهامي



كيف أكون نوحا ؟
 ولم أصنع فلكا
 و لم يركب فيه زوجان
 كيف أحمل حقائبي
 لعالم مجهول العلامات ؟
 و مازال في صبي
 ينطّ مع الفراشات
 بين الربي
 ويلثم مع النحل
 قطر الندى
 ومازال في فتى
 يعشق عيون المهى
 وضافر ليل
 تدلّت من المدى إلى المدى
 رغم تجاعيد السنوات
 سأرحل !
 وأعتذر لغدر الزمان
 وأعتذر لشق المكان
 وأحمل بيدي نورسا
 يذكرني بزرقة البحر
 ويشدني لأنوار السماء .

قصائد قصيرة

شعر : مختار المومني

* حب
التي أحبها
أراها نجمة تشق غيم الليل
تنير درب السالكين في متاهة الحياة
إذ أكون نائما
وعندما أفيق
تكون دمية محنطة

أشتهيك قصيدا يرف على شفتي
حين تيبس فوق الشفاه الحروف
أشتهيك منارا
أشتهيك مدارا
هل ترى نلتقي ؟ !
وكل الدروب محفوفة بالسيوف
الحنوف

* مهرة
تبقي المهرة جوعى
ولا تأكل بالثديين

* عانس
من يحرق حقل العانس ؟
من يزرع هذي الأرض البكر ؟
من يقطف تفاح الصدر ؟
قالت ذلك
وانكفأت تبكي في وحدتها

* شهرات
أشتهيك كتابا يقاسمني وحدتي
حين يهبط الليل ممتلنا بالسكون

أنشودة الغضب

شعر : جلال باباي

فتاتا من ماء وجوهكم	تلك البنية
... غبار المعركة	أناملها ترتجف
واعتصموا مثل العاصفة	تحت وسادة الحلم
صوب أسلاك الحدود	وسقف البيت
تلك البنية	كالشرخ في جرح الخريطة
في جحرها	مارد هذا الليل
ينقلت من ثغرها	مثل ريع الصحراء
ركام	يتمص
من أجزائنا القديمة	ماء النخيل
تورق أقدامهما	ويصفعنا
حناء ا	بمهازل الاتفاقيات البالية
في حمرة	وحدها ،
دماء الشهداء ...	البنية تعتكف
... ويتناثر الصدى	صمت دميته ...
من مقابرنا ويعرّش باب النافذة
«الطفل في المغارة	ثقباً في فوهات البنادق
وأمة مريم ...	يهتف مذياع الخيمة :
وجهان يبكيان ...»*	احفظوا
اشتدي لهباً	أيتها العربُ

يا ... أمنياتنا العابرة

خذي وجهي

يا قبلة الله

لأغتسل

بماء دجلة والفرات

خذي وسني

إلى محراب المسجد الأقصى

أصلي فجر الخلاص

لا يعنيني رفاتي ...

... لا يلتحم شتاتي ...

... لا أستسلم للطغاة

وطني ...

زندي المكوم بالتراب

وطني ...

سهيل المقاتل

عند احتدام الرصاص

وطني ...

شهيد يافا والجولان

وطني ..

طفل العراق ...

... وحجارة اللهب

ثم بعدها ... يحلّ

الغضب .. الغضب ..

... الغضب ..



* أغنية « زهرة المدائن » للمطربة الكبيرة فيروز

* شاعر تونسي من مواليد أكتوبر سنة 1964 ،

صدرت له في شهر فيفري 2000 مجموعة أولى

بعنوان « شطحات على إيقاع العشق »



رسالة إلى يارا

بقلم : شكري معمر علي

عزيزتي يارا :

تحرقتنا ورغم ذلك نشعر ببعض المتعة، بسعادة
الهزائم والانكسارات .

كم كنت صادقة عندما قلت : كلانا ولدا
في بحر الصراع ..

أنت ابنة الجنوب الذي قاوم وقدم فلول
الشهداء، وضرب أروع الأمثلة على الصمود رغم
قلة الإمكانيات . وأنا ابن وطن خسانه أبناؤه
ومزقوه إربا إربا بحثا عن مجد زائل ..

لقد التزمت الصمت لما رأيت بألم عيني
بشاعة الدمار واكتشفت ذلك الرعب الذي
سكن قلوب الصغار والكبار، حتى الطيور يا
« يارا » ماعدات تلجأ إلى الغابات ، تصدح
لغد جميل ... وسقط من سقط من أصدقائي
المبدعين ورحل من رحل لاجئا في المنافي وبقيت
أنا - يا عزيزتي - تكلمي سلاسل اليأس وأغلال
الحزن أخاف من ظلي الذي يتبعني بل حتى
ظلي قد يش متي .

عزيزتي يارا :

وحدك تستطيعين أن تمنحي قلبي الجبان
جناحين يطير بهما إلى فضاءات الإشراق

منذ مدة طويلة لم أمسك القلم للكتابة،
أعطيته فرصة للاستراحة، أحسست بأنه قد ملَّ
وسئم من الركض في بيد مقفرة، سئم من رسم
صروح الأمل الكاذبة فوق كثران رملية سرعان
ما تعصف بها رياح السنين، كلماتك الصادقة
حفرتني، أخرجتني من عزلتي الاختيارية..
عندما اقتربت من القلم شعرت بأنه

يعاتبني ويعاتب نفسه لأنه قلم جبان لم يقل
كلمة حق حينما كانت الثيران تلتهم الوطن بل
فضّل الصمت وركن إلى الزوايا المظلمة يحلم
بالمدينة الفاضلة . وهاهي الآن رسالتك التي
تفيض بمياه الحب وتحمل في طياتها رياح
الحنين واللهفة تبعث في قلبي تلك الرغبة
الخفية للولوج إلى عوالم المجهول ومتاهات
الإبداع ..

لست كاتباً موهوباً كما قلت بل أنا مبدع
موهوم .. إنه الوهم الذي أطارد أشعثه
فيضي بي قطار العمر إلى محطات الخراب
فأكتشف حقيقة اللعبة « لعبة الأدب » التي

ورغبتك العارمة في تغيير العالم عن طريق
الإبداع ...

سأنتظر رسالتك بفارغ الصبر، أكتبي لي ثم
اكتبي.

تحبّاتي العطرة من أرض الصّمود إلى
الجنوب الشامخ المقاوم .

انتهت يوم : 2000/10/21

وسماوات البهجة والخيبر .

تستطيعين أن تمنحيه روح الجنوب وقوة
الصمود في زمن الاستسلام والخنوع ..

وختاماً : لقد أعجبت بمجموعتك

القصصية «الطيور المقاومة» وتلك الأجواء

التي تدور فيها، إنك مبدعة ملتزمة بقضايا

وطنك العادلة أحسبك على إرادتك القوية



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بقية ص 50

الهوامش:

1. توماس ج بافل . القواعد السردية . ت د ناصر
حللاوي ص 59 مجلة الثقافة الأجنبية العدد
1992/2 .

2. لوسيان غولدمان . المنهجية في علم الاجتماع
الأدبي ت مصطفى السنائي ص 31 دار الحداثة
بيروت 1981 .

3. جورج لوكاش . التاريخ والوعي الطبقي ت /د حنا
الشاعر ص 169 دار الاندلس ط 2 بيروت 1982 .

4. لوسيان غولدمان : المصدر السابق ص 36

5. فيلهيلم أمريش . الفن القصصي في القرن
العشرين . ت ناجي نجيب ص 38 مجلة فكر وفن
العدد 23 / 1974 .

6. المصدر السابق ص 43

7. هنري لوفيفر . مالحداثة . ت كاظم جهاد ص 117
دار ابن رشد بيروت 1983 .

8. المصدر السابق ص 111 .

مقتطف من رسالة بعثها ماركس إلى روج في مارس
1883 .

9. جورج لوكاش . التاريخ والوعي الطبقي
ص 259 .

10. د فاضل عبد الواحد علي . عشتار ومأساة حمور ،
ص 133 دار الشؤون الثقافية بغداد 1986 .

11. لوسيان غولدمان . المصدر السابق ص 31 .

أحمد محمد أمين . طائر الليل (قصص) . دارالشؤون
الثقافية بغداد 1996 .

انترنت الصحراء

بقلم : عبد الحميد عيسى

رجلان مسحوقتان .. متصلتان ، جفت
مشايب الدم فوق أفواهها ، منازلنا تنتمي
إلى الجسد الغارق بهمود .. وحركة الجفون
المرهقة المنتظرة لزائر مكروه قاس غامض ..
عالم غريب متداخل الرغبات انفرش في عينيه
الزائفتين اللتين حلّ فيهنما تعب رصاص ثقيل
.... هائل

يتشكل الجانب الخلفي من حطام شتى
مبعثر لأشياء مبهمة تتزامن هنا وهناك .. آلة
حانقة مرّت من هذه الجهة ، أحالت الكتل
الضخمة والصفوف المنتظمة الراجعة إلى بقايا
حياة جامدة غير منتظمة ، يلفّها الصمت
والكون .. اغتالها أعصار ذكي من أنياب
ومخالب نارية سليطة متلاسة .

استمرت الحواف المرتعشة تكب دمهها
الصلب ملتصقا بلزوجة الدم الطري النازف
خيوطا واهنة باعيا ، وكأن غضبا مفاجعا
اجتاح الكون ، فحلّ رفضا عنيدا في ذات
الصحراء التي جسّدت زحفا أهوج نحو «الحفر»
الذي ابتلع نصفه بنزق اقحواني في الجزر .

ظلت مسارب الرمال المسفة تنزف ..
دافنة نصفه الأسفل ... الذرات الناتسة
استحالت إلى نثار زجاجي .. متشظ ..
شقاف ، ينغرز في خلاياه المحطمة .. تتكاثف
مناسيب الرمل .. كشيّبات صغيرة حوله ..
تنرى .. تذروها الرياح الكثيبة من الحواف
المثلومة ، كحبّات الدمع المتسببة المبدولة من
عينيه ساعة ذهول غريبة .

لم يظهر من بندقيته المستلقية إلى جانبه
غير «شاجورها» شبه الفارغ .. غاصت هي
الأخرى بصمت لثيم .. حاول أن يحدّق بانتباه
عقيم مرّ ، بيد أن الصحراء الشاسعة كانت
متافعة بغطاء رمادي كالح غصنته أورام
مقرّزة ، بسطت نفسها بارتخاء طفولي عفوي
.. بدت مثل شعر غجريّ سمح تعابه أصابع
فظة .. كان هدوءه أضمّ ذلك الذي يكتنفه ،
حتى أن ديبب الذرات الرملية الأخرس صار
مسموعا .. زاعقا .. يغري ذهنه المكدر ،
المحشو بصدى المعركة المقتولة منذ بداية فجر
التاريخ الحجري .

يرتق في آخر محاولة له المواضع الممزقة بخيوط
مرئية دقيقة ... ذرات الصحراء المنبسطة
مزروعة بالأجسام الغامضة المهجورة والحلم
البشري المشوي .. ويرتفع منسوب الرمل في
الحفر ، فتحاصره رائحة مألوفة منقّرة ، شاحنة
جوف النهار المنسحب المطوق بجدار العزلة
الهنّ ... تتغلغل في أعماق الذات الرّبّانة
المحاصرة في الجسم المهشّم دفقة أراك وامض ..
يجتاحها يقين صاف كيقين الصوفي في الذات
الالهية .. تشرق ابتسامة عقيدة عذبة وإيمان
راسخ يمتزجان بخرس المسافات ذات المديّات
النّائية والحزينة .

أمك لديها حدس عجيب ، فهي كلّ يوم
تحسبك قادمة في قطار الليل .. أصرت على
ترك الباب منواريا .. حيث تخشى إعتابك في
طرقه والانتظار .. تصوّر أنها عافت قناعتها
بتواجد اللصوص وذوي النفوس المريضة
تتضخّم مركومات العدو أمام عينيه ..
تستحيل إلى حيوانات خرافية محتنّطة في
الأرض البيّاب يتداخل ظلام الصحراء الواقعة
شرق الشريط الأخضر المتواري بوهج القبة
الساحقة . فتتشكّل سحابة كبيرة جائمة عديمة
اللون والحركة .. يقترب لهاث محموم يجوب
المساحة العريضة المتلاشية .. يتشخّم الحطام
المبعثر المتناثر .. تتوتر أشعة الذرات المنعكسة
بصلب أجوف .. يرتفع عمود البصر هذه المرة

الأسامي الشاهق كانت الكرة الزجاجية
الصفراء تتدحرج في السماء الشاحبة ، باصقة
لعابها الحبارق الذي يلهب الموجودات بغضب
إلهي !

كانت الصحراء المستباحة تتحدّد
خاشعة بفعل اللهب اللاذع .. تستطيل زوايا
المواشير الضوئية الراكضة ... صوت الحفر
التقيج يتوغل في اللحم الفاحم المتآكل ...
العينان الذابلتان كانتا نبعي طموح كبير
مشروع .. مريض أصرار مكثّل وسط الركام
الملفوظ الذي شطبه المستعجلون من ملقّات
العائدية .. وكان النبض المأزوم الرافس ذا دوريّ
خاص مؤثّر .

هاهي الصحراء قد استجمعت كلّ
عنفوانها وبثته في أوردّة لامرئية بجهة الحفر
المذعور ، تقف كرة السماء الحارقة برهة ثم
تنداح برتابة ناحية الأفق المتيمّ باحتضاتها
.. تغيب حالتها التصلّب والارتخاء في الجسد
المهشّم .. يزمّ شفتيه الجافتين الزرقاوين ..
يكرّ على أسنانه .

تشطّ مسارب الرمل معوضة كلّ الصحراء
الخافت .. تطرف أجفانه .. يسدّ نافذتي الضوء
الواهنتين .. الأحداق الكليّة المحاطة بهالة
سوداء متخشّبة ، تنفرج للحظات .. يرسم
أسامها صراع طاحن من الظلمة الغازية
بأقدامها الثقيلة المقبلة ، ولعاب الكرة البلورية

مدينة الصلاة

شعر : أحمد علي الهويس

أناشد الصخرة التكلي أناديها
منك الحجارة سجيلا لترميها
أم النبیین والآيات ترويها
يا أمة العرب من منكم سيجنيها
وحسروها لأن الله حاميها
أتت عليهم فلن تخطي مراميها
بالنصر دوما فلم تفلح أغاديها
« محمد الدرة » القديس ثانيها
به تقادم نيرانا فتطفئها
في العرب روح لعين القدس نهديها
وهي البداية لاشيء سيثنيها
قد برحت أمة إن مستحکم فيها
أبناؤها كتبوا « بالروح نفديها »

للقدس خدني وللأقصى أعانقه
قد دنستك يد التهويد فانبعثت
يا قبلة العرب يا مسرى النبي وقد
وماهي اليوم تستجدي خمائرکم
وصوا الصفوف لأجل القدس واتحدوا
والانتفاضة لما قام قائمها
وتسودها أمة الله أيدها
إني رأيت صلاحا حين عانقها
نبارك الله كفا أمسكت حجرا
لأن نساوم يا أختاه ما بقيت
ثبات انتفاضة باسم الله نعلنها
لهذا خالد والفاروق يصيحه
المكون نعلن أن القدس واحدة

خدر لذبة .. أما القسم الميت فكان غطاؤه
ثقيلًا متراكما .. اختلطت النظرات يجمعها
دافع طائع ظلت مسارب الريح تنن .. تعوي ..
تلتوي متشاكسة .. تذر وتذر .. وثمة عيون الأم
تواصل رصد الشمس ودجنة الليل .. كثيرة هي
الأسماء التي خطرت في بالهم .. وهو في هذه
المنهارة ، أحسن فجأة بجسده محمولا بين أيد
رحيمة ليخلي نحو مكان أمين.

شاقوليا .. تصيب طاحونة التلزية رحالها
بغزارة راجفة .. تزيع حدقتاه برعب غريزي
منسي .. ذئاب شرهة تطل من مكان خفي
برغبة جرداء .. ألفة منهذلة تنز لعاب جوع
ضار زئج .. تشتد حاسة الشم الفاجرة كشيق
بغي مهووس .. تتلاقى أعمدة الرؤية .. رماح
عنيدة ثأرية .. تتحرك نزعة ظفر كسيحة .
بحلقت عيناه ، بغلبها هاجس رعب ..
يتصيب عرقا .. اجتاحت جزء النايض موجه

محاوالت

صفاء ذياب

بغداد -

ليل:

سقط الحلم

فانتفض المساء في فوضى الوسادة

هذا المتطابق بين انسداد السماء وانتفاخ الأرض بما دونته التواريخ من صخب
الفتوحات إلى الهزائم التي فقأت عيون المرافيء، وما صاغته من سيرة لهذا المتداخل
بين اكفاء الشمس وبيضاض الدماء في وجه القمر.

هو الليل يفتح للوسادة مسرحاً لاحمرار العيون بما دفنته السنين من فيض المذابح
واشتهاء المكاند لفتح آخر قلب يفجره الحنين.

لا موعد هنا - لا انتظار المصائر... لا مكان

صاحب مثل انشطار البرق يفتح أبواب الفضاء ويندلق في زحمة القطارات الماضية صوب
الصحارى هذا هو احمرار السعير أو اشتعال الصواري التي رفرت بين الدسائس لتحمل
المهاجرين إلى وطن يوقظ الولائم ويملاً اليد بما ينفخ البالونات المنقوبة على جانبي
أفواههم .

ظلام:

فضاء للرؤى .. أو قلق فوق مصاطب القبور .

الشموع التي غلفت المقابر بابتهاجها .. تتوجت الآن خلف خريف البياض، الشموع التي
ملأت المصاطب أخرجت الأرواح من هذا الظلام إلى زمن مدفون لتمكث مع جدها
النباذرتال .

الشموع التي صعدت الحضارات إلى أحمرارها بعد سقوط المناير واندثار العمارات
أنقاضا بيد الآلهة .

كل اله يأخذ حصته منا ، فماذا سيبقى لنا بعد موت الآلهة ؟

ملوى :

هنا ... أو هناك

لا فرق لديّ ، كل ما يمزق المسافة بجري الآن خلف جنازته . أعلم أن بعد الأرض أرض
...وبعد الليل ليل ...وبعد الجوع ...موت يطول كلما زاد الحصاد .

قلق :

قليلًا ... قليلًا ، أنوائب خلف انطلاقي

أرى الأرض تمد يديها اليّ ، أنهض من هزيع المآذن إلى رتوش على لوحة تمرّ بي معلنةً
بداية تقويمي الدموي

أبثّ اصطفاي بأول منعطف يهرج بين اندثاره وصخب المتعطشين إلى كأس من
الخمير المضمخ بالعفونة ، هذا .. أن لي شارعا يندمج بأول نبضة أداهما ، تقاسم ارتجافي
بانبثاق القلق المرسوم على شعريدي .

كلّما أوغلت في الحلم ... يدحرجني كابوس يرتق انبهار المصاطب بانتظار
الحافلات ، إلى أرق يهدج انعطافة طفل يجمع في كل ظهيرة ثمن كف على خده يسقط
مبتها دونما ذنب صاغه الله بين عيون طفولته .

دفعة واحدة سقطت هذه المدينة ، الشوارع مملوءة بالزجاجات الفارغة ... تتقاذفها
جرذان يختطفها الطاعون بيد الرحمة . قليلًا أتخمر بالتوائي ، أي منعطف أسلكه أجد
الصغار يرتشفون ابتلاءهم خشية ذهاب الرغبة إلى المقصلة .

الحوار مطلوب بغية الاستفادة ورغبة في التّجاوز

في البدء لابدّ من طرح سؤال مستشفّ من السؤال المطروح عن أيّ أجيال نسأل ؟ وهل نعني مسألة أدبيّة أم مسألة زمنيّة ؟ وفي كلا الفرضيتين إنّ الحوار مطلوب للتّواصل بغية الاستفادة ورغبة في التّجاوز في أنّ ذلك أنّ معرفتنا بالسابقين والاستفادة منهم ضرورة يقتضيها التّنبّش في السّابق ومطلب أساسي للتّأسيس . فالنصّ في النهاية هو رسالة تتطلّب باثّ (المنتج) ومتقبّل (قارئ) والهدف في النهاية هو التّواصل ، فمابالك إذا كانت العمليّة التّواصلية بين أجيال مختلفة ، فعلى الشّباب القطع مع قتل الأب وعلى السابقين احترام الشّباب ، ذلك أنّ زمنهم مختلف عن زمانهم وأنّ المستقبل لامحالة لهم . »



« محمد البدوي (أستاذ جامعي ومنتج إذاعي)

لاخوف على الإبداع من هذا الصّراع

« العلاقة قائمة على الصّراع ... وهو من طبيعة الأمور لأنّه صراع إيجابي يدفع بالعمل الإبداعي نحو آفاق أجمّل ... كلّ جيل يحاول أن يفرض نفسه بمختلف أساليب التّعبير ومضامينه ، ولاخوف على الإبداع من هذا الصّراع لأنّ التّاريخ وحده كفيل بالحكم على النّصوص ولكلّ عصر أعلامه ومبدعوه وللأمة كلّ هذا التّراكم .

الصّراع يجب أن يتحوّل إلى مواجهة الوسائط المتعددة ووسائل الإعلام الحديثة حتّى يكون للمبدعين حضور في الساحة العالميّة ، يجب أن يكون طموحنا أبعد من الحدود التّونسيّة والحدود

بقيادة ربّانّه الصديق اللطيف عادل الجواوي ، محدوهم رغبة في التماس استراحة المسافرين إذ نادتهم دار الشقافة «علي الدوعاجي» بحمّام سوسة بأشراف المديرّة الناشطة : أم كلثوم حسين للركّص على إبقاعات الكلمة فلبّوا النداء . وكان الافتتاح في حجم الاشتها .

اطمأنت أفندة المراطين بأسوار هذه الأيام الأدبية العاشقة واستمرّ التآلق والبها ، رفقة طلبة راتعين أنجبهم المعهد العالي للتنشيط الشبّابي والثقافي ببئر الباي ، فتبنّوا التظاهرة مثل الوليد الوديع ضمن بحوث تخرّجهم ، يحدو نفوسهم الطيبة توق إلى إنجاحها وصنع تميّزها ، التقينا هؤلاء الطلبة : لبنى الزوابي - هادية حكيم - البحري المزوغي - رضوان ساسي ، ساتلين إياهم عن دوافع هذا الاختيار فأجابوا : «سعيّا منّا كطلبة المعهد العالي للتنشيط الشبّابي والثقافي ببئر الباي وفي إطار مشاريع تخرّجنا بادرنّا نحن ثلّة من طلبته للمساهمة في تبنيّ تظاهرة أدبية مازالت تتحسّ إشعاعا وتآلقا فاحتضنّا بكلّ عفوية الأيام الوطنية للإبداع الأدبي بسوسة في دورتها الثانية ، وهي لعمرى مغامرة تحمل بين دفتيها رغبة جامحة للتأسيس والتماس مرافق الإبداع لهذه المبادرة ، اختسرت الفكرة في أذهاننا أملين أن نجعل من هذه الأيام سنّة وطنية وتقليدا واعيا ، تشبّت أوتادها بين خيمة المركز الوطني للرسكلة والتكوين المستمرّ بسوسة وخيمة دار الشقافة علي الدوعاجي بحمّام سوسة ، ونظرا لنجاحها في السنة الماضية ودعّمناها ثمّ وقفنا على النقاط السلبية وتجاوزناها وهذا ما سعيّا إليه بفضل مجهودات الإخوة : عادل الجواوي - أم كلثوم حسين - الصّحبي بن منصور - أمينة الغفاني - جلال بياي - عطر دغرير - شكري جغام وحاتم الفطناسي . إلى جانب التّأطير المدرّوس من لدن أساتذتنا المشرفين : المنجي الزيدي - مصطفى المدايني اللّذين ساهما في تذليل بعض الإشكالات المعرفيّة وتحديد فرضيّات البحث وتوضيح مكان ودوافع الاختيار ثمّ وصولا إلى الإنجاز ومن هنا جاء تحديد محور هذه الدّورة : «الأدب التّونسي وحوار الأجيال» حالمين أن تكون التظاهرة مدا لجسور التّواصل بين أدباء الشبّان وكبار الأدباء ، للاقتداء بتجربة السّابّقين .

في إطار هذه الإشكالية المحدّدة ، تسلّنا بين صفوف مريدي الأدب الواعد والفاعلين بجنونهم الإبداعيّ ، هم الرّاسون على سباسب هذه الأيام الأدبية المزهوة برييعها ، طارحين على أنفسهم الغيرة على الأدب والتّواقة لتجذير الفعل الشقافي السّؤال التّالي : الأجيال الأدبية : «رغبة في التّواصل أم رفض للحوار؟» فوردت أجوبتهم تلقائيّة ، نابعة عن وعي بالمسألة وهذه أبرز الانطباعات :

* عبد الكريم الحالقي (شاعر ورئيس فرع اتّحاد الكتّاب ببزرت)

الحوار مطلوب بغية الاستفادة ورغبة في التجاوز

في البدء لا بدّ من طرح سؤال مستشفّ من السؤال المطروح عن أيّ أجيال نسأل ؟ وهل نعني مسألة أدبيّة أم مسألة زمنيّة ؟ وفي كلا الفرضيتين إنّ الحوار مطلوب للتّواصل بغية الاستفادة ورغبة في التجاوز في أنّ ذلك أنّ معرفتنا بالسابقين والاستفادة منهم ضرورة يقتضيها النّبش في السّابق ومطلب أساسي للتّأسيس . فالنصّ في النهاية هو رسالة تتطلّب باثّ (المنتج) ومتقبّل (قارئ) والهدف في النهاية هو التّواصل ، فما بالك إذا كانت العمليّة التّواصلية بين أجيال مختلفة ، فعلى الشّباب القطع مع قتل الأب وعلى السابقين احترام الشّباب ، ذلك أنّ زمنهم مختلف عن زمانهم وأنّ المستقبل لامحالة لهم .



محمّد الهدوي (أستاذ جامعي ومنتج إذاعي)

لاخوف على الإبداع من هذا الصّراع

« العلاقة قائمة على الصّراع ... وهو من طبيعة الأمور لأنّه صراع إيجابيّ يدفع بالعمل الإبداعي نحو آفاق أجمل ... كلّ جيل يحاول أن يفرض نفسه بمختلف أساليب التّعبير ومضامينه ، ولاخوف على الإبداع من هذا الصّراع لأنّ التّاريخ وحده كفيل بالحكم على النّصوص ولكلّ عصر أعلامه ومبدعوه وللأمة كلّ هذا التّراكم .

الصّراع يجب أن يتحوّل إلى مواجهة الوسائط المتعددة ووسائل الإعلام الحديثة حتّى يكون للمبدعين حضور في الساحة العالميّة ، يجب أن يكون طموحنا أبعد من الحدود التونسيّة والحدود

العربية ، إن العالم اليوم قرية كونية ويجب أن يكون لنا فيها نصيب بما نقدّمه من عمل جديد وجليل يجمع بين المتعة والإفادة لنا وللأجيال القادمة .

*** سامي ونّاس (قاصّ ناشئ)**

الأجيال الأدبية الصاعدة متعطشة إلى النّهل من فرات كبار الأدباء .

« لقد مثّلت الأيّام الوطنية للإبداع الأدبي بسوسة فرصة لتلاقي الأدباء الكبار الجهاذة مثلما يقال نحن لهم خبرة في المجال بالأدباء الناشئين المبتدئين ، ولقد بان من خلال الورشات حرص الأجيال السابقة على نقد الأجيال الجديدة والشّد على أيديهم وتنبيههم إلى العيوب التي شابت محاولاتهم الأدبية ، حتّى يتسنى لهم تخطّيها وتداركها وفي المقابل نجد الأجيال الأدبية الصاعدة متعطشة إلى النّهل من فرات كبار الأدباء التونسيين حتّى يمضوا قدما على سمة التألّق والامتياز ويكون لهم شأن كبير في المستقبل ، وهذا التواصل من شأنه أن يكون جيلا جديدا ، قادرا على رفع التحديات والتألّق في جميع المجالات . »

*** نفيسة التريكي (شاعرة)**

المخسومة الأدبية ، خصومة الجدل المكثّف المؤسس

« يبدأ الأدب من الذات ، ثمّ يتنطلق عبر أرجاء فسيحة جدّا لاحتصر لها ، تجول الفضاءات والجبال والصّحاري والبحار .. متى توقّفت الأجيال عن التجانس والحوار ؟ ولكن متى أيضا توقّفت الأجيال عن التّصادم والتّنافر .. فالعلاقة بين الأجيال ماهي في النهاية إلّا مظاهر من الحياة والحياة قبول ورفض ، إضافة وتجاوز تقليد وتجديد ... هي سنّة الحياة أن تتطوّر ، أن تتصارع أن تتلاقى ، أن تفترق .. أن تتخاصم خصومة أدبية ، خصومة الجدل المكثّف المؤسس ... لقد نشطت جماعات أدبية كثيرة لتنتشر أفكارها ومشاريعها الفكرية والأدبية كجماعة تحت السّور بتونس وجماعة الذّويان بمصر وجماعة الرابطة القلمية بالمهجر .. وهكذا تتواصل الحياة الأدبية في مجالاتها المختلفة من شعر وقصّة ونقل .. في تلاطم أحيانا في مدّ وجزر .. في تجاذب .. وربما ولم لا ! في انسجام وتوافق وأهم ما يجمع هذا البحر من الجدل ، هي القطرة الأولى بل النّظفة الأولى للحياة .. هي بإصاحبي الإبداع .. »

*** عثمان المحمودي (شاعر) (قلمي)**

رسكلة قماش عباة الجيل السابق دون إلغائها

« تتعاقب الأجيال فيرتدي الجيل القادم ثوبا ربيعيا ينسجه نازعا عباة جيل سبقه . أحيانا . لأنّها تبدو له بالية مهترئة ، وقد يرفض الجيل السّابق خلعهها وكلّه تمسك وتشبّث وعناد ... ولعلّ

الأرجح أن «يرسكل» قماشها ويضفي عليها من الحداثة ما يخرجها عن بوتقة القدم دون القطيعة مع إبداع قديم منبثق عن تجربة لا يمكن إلغاؤها .

*** محمد عمّار شعابنية (شاعر ومنسق مهرجان الشعر بالمتلوي)**

حضور النصّ الجليّد والمقنع بالإضافة والتجاوز لا بالتراكم والرفض

«الشاذ يحفظ (أو يتلف) ولا يقاس عليه . لأنّ الذين يرفضون التواصل في المجال الأدبي هم الأثنائيون الذين يسعون إلى غلق المنافذ حتّى لا يبرز غيرهم فيفقدون مواقعهم إن كانت لهم مواقع غير وهميّة .. أمّا نيّة التّواصل فهي متوقّرة في الوقت الحاضر ، غير أنّ هذا الهدف لا يمكن أن يكون مجرد حلم بقدر ما يبرّره حضور النصّ المقنع بالإضافة والتجاوز لا التراكم والرفض ... وقد يحدث التوقّف بفعل غياب الإبداع لابقع عرقلة التواصل ، لذلك أرى أنّ أجدى مسعى للتواصل إضافة وأهم حوار هو الذي يبني ولا يهدم ، يوحد ولا يفرّق .»

*** أين جاء بالله (شاعر (المكتين)**

العلاقة الطّبيعيّة بين الأجيال الأدبيّة هي الترابط والتكامل

«مما لا يحتمل الشك أنّ الماضي لا يمكن أن يتواصل وأنّ بحيا إلا مع الحاضر وأنّ هذا الحاضر لا يمكن أن يبنى على أسس وقواعد منطقيّة إلا بالاعتماد على ماسبقه . ولاشك أنّ الأجيال الأدبيّة المتنوّعة والتي طبعت بفترات تاريخيّة مختلفة ومتفاوتة هي في تواصل وتكامل تؤطرها علاقة جدليّة لأمحدودة وتربط بينها مقوّمات وأسس مشتركة وسواء أقبّلت المبدع هذا التّواصل أو رفضه فإنّ العلاقة الطّبيعيّة بين الأجيال الأدبيّة المختلفة هي الترابط والتكامل بغضّ الطرف عن وجهات النّظر والآراء الشخصيّة التي لا تصوّر ماتشده الأجيال الأدبيّة من تشابك وترابط وتفاعل يفرض وجوده حتّى على المبدع نفسه .»

*** مبروكة دغمان (أستاذة وقاصّة) (سوسة)**

المهمّ أن تتعادل كفّة الأدباء في المعاناة

«الأدب واحد في كلّ العصور والأمكنة ولا يصحّ تقسيمه إلى أجيال إنّ الكائنات الحيّة (والأدب منها) غير ثابتة بل متحوّكة شتّى أم أبينا وبالتّالي يصحّ هذا الفصل اعتباطيّاً ووجب تجاوزه لأنّ الإبداع والمبدع يفرض نفسه أو يفرضه الزّمن ولو بعد حين ، المهمّ أن تتعادل كفّة الأدباء في المعاناة في البحث ، في التّوق إلى صنع عوالم جديدة وأن لا يتحوّك الأدب إلى دلو نلقبه لنقنات من فئات الآخر ثمّ نطلب نصيبنا من الشّهرة والإثراء .»

*** فرج عمر الأزرق (شاعر)**

وتظلّ الذائقة مفتوحة إلى حين أن تعانقه عطاءات المبدعين

« أن ننجز أدبا واصلا فاصلا سواء مع تجارب السلف أو تجارب ذات الجيل الذي ننتمي إليه هو أن تتوارف لألى الكلمة وفق تلازم فعلين لابد أن تحتكم إليه كلّ مكابدة إبداعية تتطلب إنشاء الإضافة في مستوى مقارعة المشهد الشعري والقصصي فهي هنا فعل الهدم ففعل البناء .

إننا نستجير أن ينشال الفعل الإبداعي وأن تتوالد فراشات الحرف باتّجاه مختلف الأمكنة والأزمنة على مايفرزه المكان والزمان من ثقل معرفي وجمالي ومايسجد على قطبيهما من تفكيك وتركيب مما يجوز لفراشات الحرف أن تحلق بعيدا وأن تخرج نصا يعمق وعينا بالأشياء والأسماء ويزيد في مستطاع المسك بمناطق أخرى ظلت لحين مجهولة في ذواتنا التوقاة إلى الإشراف على هبهات أخرى من ضوء الروح وتفاصيل الكلام الجميل . وتظلّ الذائقة مفتوحة إلى حين أن تعانقه عطاءات المبدعين المرتحلة في الذاكرة والمستعيرة إمكانات الاستيقا المؤسسة إلى ما بعد الحداثة إلى درجة قد نمتلك معها لحظة الانخطاف اللغوي . »

يتواصل المدّ الإبداعي وترتسم الأيام الوطنية للإبداع الأدبي بسوسة وإنجازا رائعا . يصنع الإضافة ويتفرّد بخصوصيته ويستقلّ بالتالي موقعا ثابتا في المشهد الثقافي ليفتك مكانته باعتزاز ونخوة بين زخم الملتقيات والمهرجانات المنتشرة في كامل أنحاء البلاد التونسية .

حين بادرنّا السيد : هادي الجواودي مدير المركز الوطني للرسكلة والتكوين المستمر بسوسة عن إقرار هذه الأيام سنّة أدبية مبدئية بسوسة والمبادرة باحتضانها بالتعاون مع دار الثقافة «علي الدوعاجي» بحمام سوسة والمعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي ببئر الباي في إطار بحوث تخرج ثلّة من الطلبة ، أجابنا قائلا : « إن إقدامنا على الاستمرارية في تنظيم هذه التظاهرة ، لم يكن وليد عاطفة أو اختيار عشوائي ، بقدر كونه اقتناع جماعي من لدن هيئة التنظيم بجدوى هذا الإنجاز الأدبي وإسهامه الجادّ للنهوض بأدبنا التونسي وترسيخ النوااميس الثقافية التي تجذّر هويتنا وتعمق حوار الأجيال وتؤسس بالتالي النصّ الإبداعي الجيد وهذه الأيام هي مواصلة للاعتراف بجليل إسهامات أدبائنا من خلال تكريمهم إكبارا لعظائمهم الإبداعي . »

الأخت : أم كلثوم حسين مديرة دار الثقافة بحمام سوسة ، بادرتنا بالتحية وأضافت قائلة : «بتنا متأكدين من جدوى الشراكة بين المؤسسات الشبابية والثقافية ولقد أثبت نجاح الأيام الوطنية للإبداع الأدبي تعاوننا مع دار الشباب سوسة والمعهد العالي للتنشيط الشبابي ببئر الباي فتألفت التظاهرة ورقصت مدينتي حمام سوسة وسوسة على إيقاع الشعر والقصة والعروض المسرحية . يمكن اعتبار هذا الإنجاز مكسبا وطنيا يضاف إلى مكاسب عهد التغيير ، سنحرص في

السنوات القادمة على انفتاحه على مناهات فكرية أخرى . »



نتائج المسابقات . ورشة الشعر خلال الدورة الثانية

للأيام الوطنية للإبداع الأدبي بسوسة ، إجتمعت لجنة ورشة الشعر المتكوّنة من السّادة : محمد عمّار شعابنية - عبد الكريم الشالقي - محمد البادي البيلاتي - صلاح الدين الحمادي والصحبي بن منصور ، ضمن حصتين صباحية ومسائية يوم الأحد 8 أفريل 2001 واستمعت لقراءة قرابة 32 نصّا شعريّا لشعراء وشاعرات شبان من مختلف جهات البلاد ، وفصح المجال لمشاركة الحاضرين في إبداء الملاحظات حول مائّمت تلاوته على أسماءهم ، فتبيّن للجنة قدرة بعض المتدخلين على الإحاطة بجموعة من المفاهيم النقدية والآراء التقويمية المؤكّدة على أنّ العديد من يكتبون النصوص الشعرية الشبابية بامكانهم الاعتماد على محاسبتهم الذاتية لتجاوبهم لمزيد تطويرها قبل انتظار أحكام النقّاد التي قد تتجاهل أعمال بعضهم ، وبعد قراءة وتقويم النصوص اقترحت اللجنة ما يلي :

- منح شهادة تقدير وجائزة تشجيعية تنويها بنصّ صاحبة القصيد المهدى إلى الطفل الفلسطيني الشهيد : محمد الدرة باعتبارها أصغر المشاركين (15 سنة) وهي : شذى الحاج مبارك (ممتدى الصحافة والأدب بدار الشباب القلعة الكبرى)

- الجائزة الأولى : حازها الشّاعر : عثمان المحمودي عن قصيدته : «أجنحة في مهبّ الأسنلة» ، نظرا لقدرة هذا الشّاعر على تجاوز القوالب العمودية الجاهزة بتشكيلات إيقاعية وصور جديدة وأساليب متجاوزة تؤكّد لديه على أنّ الشّرّ جمال قبل أن يكون شكلا .

الملتقى الوطني أحمد ابن أبي الضياف ربيع الإتحاف

بقلم : مبروك صالح المناعي

مناسبة مفرحة انشرجت لها الصدور فابتسمت الوجوه وضحكت العيون وتبدلت التحايا إذ تهللت شوارع مدينة الإتحاف بملتقى الجد الأديب ، المصلح والمؤرخ .
ارتدت مدينة سليانة حلّة الابتهاج والفرح وازدانت بألوان خلافة فاللاقتات ببضء ، ترحب بالضيوف والخطوط حمراء ، تعلن عن الدورة التاسعة للملتقى الوطني أحمد بن أبي الضياف يومي الجمعة 18 ويوم السبت 19 ماي 2001 .



واحتضنت قاعة « أحمد بن أبي الضياف » بمقر ديوان تنمية الشمال الغربي بسليانة فعاليات التظاهرة .

افتتح الملتقى الأستاذ الصادق شعبان وزير التعليم العالي بعد أن دشّن معرض صور المعالم الأثرية والسياحية بالجهة ومعرض مجلة الاتحاد (122 عددا) و مجلة قطاف الاتحاد (102 عددا) ومنشورات دار الاتحاد (42 عنوانا) .

وافتح الجلسة الأستاذ خليفة الجبينياني والي سليانة بكلمة بليغة تقتطف منها : « هذا الملتقى ينعقد هذه السنة ليتدارس موضوعا من أبرز المواضيع التي طبعت الأدبيات المعاصرة والحديثة ببلادنا وخارجها ألا وهو موضوع الإصلاح والموقع الذي يحتله هذا المبدأ في الفكر التونسي حيث مثل ولا يزال سمته البارزة ، وصفحته المضيئة ، ويزداد هذا الموضوع أهمية وحساسية حينما يقترب مسألة حازت هي الأخرى اهتمام المثقفين والسياسيين على حدّ السواء ، وهي مسألة العولمة ، لذلك دعونا هذا الجمع المبارك من الأساتذة للخوض في هذه المسائل وتوضيح إشكالياتها وفلسك رموزها وإنّي لعلّى يقين من ذلك سيسود اعمالكم من مداخلات قيمة متنوعة وشاملة ونقاشات ثرية ستقدم حتما الاضافة المرجوة لثقافتنا حتى تواصل مشاركتها في الحوار الثقافي الانساني كما كانت تفعل دوما ، وحتى تثبت قدرتها اليوم أكثر من أي وقت مضى على متطلبات الحداثة وشروط العولمة بفضل ما غرسته على مر الازمان في الفرد التونسي من حب وتعطش للمعرفة والعلوم وبفضل ماوفره لها العهد الجديد من وسائل عمل طالت كل جوانب الفعل الثقافي الجاد والمتميز حيث توالى التشريعات ووصدت التمويلات وأحدثت الفضاءات وتوفرت التجهيزات وتكوّنت الاطارات الشيء الذي غير المشهد الثقافي ببلادنا تغييرا كليا وهيا لأرضية خصبة انبت ابداعا ثقافيا وطنيا المقاصد متنوع الاغراض يكرس قيم الحوار والسلام والتسامح وينبذ التطرف والعنف والتوقع ويأسس لحركة ثقافية ترتبط عضويا بمسيرة التنمية باعتبارها احد شروطها المركزية وهو ما عجل وسهل انخراط بلادنا في محيطها الجهوي والاقليمي والكوني بكل وعي وتبصر وهذو .

وفي الختام اعود ثانية لأشكر لكم مساهمكم وحضوركم بيننا متمنين لكم التوفيق في اشغالكم والنجاح في مساعيكم لما فيه هير ثقافتنا الوطنية راستسمحكم سيادة الوزير ان تبلغوا سيادة الرئيس زين العابدين بن علي تحيات ابناء ه بجهة سليانة وجزيل شكركم وكبير عرفانهم لما تلقاه هذه الجهة من لدن سيادته من رعاية متزايدة واهتمام متواصل . »

ثم أحيلت الكلمة لمدير الملتقى الأستاذ عبد القادر الهاني الذي ذكر بمحاور الملتقيات الثمانية السابقة وبشّر الحضور بقرار السيد والي سليانة القاضي بأن ينتظم الملتقى سنويا ثم عدّد المنافع التي ستترتب على هذا القرار الحكيم .

الجلسة العلمية الأولى : ترأسها الأستاذ الدكتور مبروك المناعي وفيها قُدِّمَت المداخلات التالية :



ARCHIVE

أ. العولمة رهان أم فرصة ؟ للأستاذ حاتم بن عثمان (صدرنا بها عددنا هذا)

ب. العولمة والمعلومة الرقمية للأستاذ وحيد قدورة

ج. تونس وفرنسا للأستاذ الأزهر الغربي

د. مالا يقبل التفكير فيه في الإنحاف للأستاذ توفيق قريرة

الجلسة العلمية الثانية : ترأسها الأستاذ : توفيق قريرة وحاضر فيها :

الأستاذ عبد الرزاق الحمّامي عن : فكرة الإصلاح عند ابن أبي الضياف

الأستاذ محمد بن الطيّب عن : تونس وأوروبا

الأستاذ كمال عمران : فكرة التدرّج عند ابن أبي الضياف .

هذا وشغفت المداخلات بنقاشات من قبل الحضور ذات تساؤلات قيّمة وملاحظات بناءة وإضافات مفيدة تلتها تعقيبات وتوضيحات من قبل الأساتذة المحاضرين ممّا أمتع المشاركين فكتب للندوة النجاح والأثر الطيّب إذ اختتمها الأخ منصف البحياوي الكاتب العام للجنة التنسيق مساء السبت بمدخلة شافية ضافية فكان ختامها مسكلاً .